وسائل الثبات في زمن المتغيرات

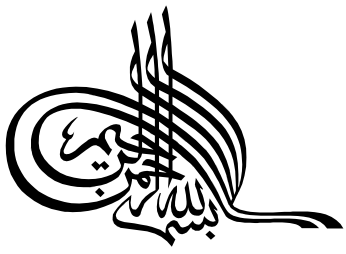
بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلَّم.

أما بعد:

فإن المتأمل لأحوال المسلمين اليوم ونتيجة لكثرة الفتن وانتشار الشبهات، والشهوات ودعاتها ووسائل بثها ليرىٰ صورا من الانتكاس وعدم الثبات علىٰ الحق الذي كانوا عليه، سواء كان ذلك في الالتزام العام بالدين ومظاهره أو كان في العقائد والأفكار والتصورات والمناهج إلا من عصمه الله تعالىٰ.

وأعظم نجاحٍ وانتصارٍ في حياة المسلم زمن الفتن والمتغيرات هو الثبات علىٰ الدين حتىٰ الممات، تأوّلا لقول الله تعالىٰ: ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ﴾ [الحِجر: ٩٩] وقوله تعالىٰ: ﴿مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن

قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا﴾ [الأحزاب: ٢٣].

لذلك جاءت هذه المحاولة المتواضعة لتلمّس وسائل الثبات علىٰ الحق؛ كتبتها لنفسي أوّلا[١]، ثم لمن يطلع عليها من إخواني المسلمين.

سائلا المولىٰ عز وجل أن ينفع بها كاتبها وقارئَها وسامعها، كما أسأله تعالىٰ أن يثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، وأن يرزقنا الثبات في الأمر والعزيمة علىٰ الرشد، وألا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا، وأن يحيينا علىٰ الإسلام والسنة، ويتوفانا علىٰ ذلك وهو راض عنا.

وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلَّم.

الباحث

عبد الله بن عمر الدميجي

مكة المحروسة

٢٠/ ١١/ ١٤٣٧هـ

dumigi@hotmail.com

(١) أصل هذه الرسالة محاضرة أُلقيت بجامع القصيبي بحي منيفة بالهفوف بتاريخ ١٦/ ٤/ ١٤٣٤هـ.

تمهيد

تعريف الثبات لغة واصطلاحًا:

الثبات في اللغة من ثَبَتَ الشَّيْءُ يَثْبُتُ ثُبُوتًا إذا دَامَ وَاسْتَقَرَّ، وهو ضد الزوال، ويقال: تَثَبَّتَ الرجل في الأمر واستثبت بمعنىٰ واحد، وهو التأني وعدم العجلة، ورجل ثَبْت: أي ثابت القلب(١).

وله معان أخر تدور حول هذا الأصل، ليس هذا المختصر مكانا لتفصيلها.

وفي الاصطلاح: هو عدم احتمال الزوال بتشكيك المشكك، والثابت هو الموجود الذي لا يزول بتشكيك المشكك، والإثبات عند القراء ضد الحذف(٢).

تعريف المتغيرات:

المقصود بالمتغيرات: زمن الفتن والاضطراب الفكري

---

(١) مقاييس اللغة (١/ ٣٩٩) والمفردات للراغب (ص٧٨) والمصباح المنير للفيومي مادة (ثبت).

(٢) كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم للتهانوي (١/ ٢٦٤).

والتلوث العقدي، ورواج الشبهات والشهوات، والتشكيك والتلبيس على الناس في ثوابت الدين والمحكمات، وانتشار سوق النفاق والتلوّن في دين الله تعالى. وهذه من علامات الوقوع في شراك الفتن والعياذ بالله، قال حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إن الضلالة حق الضلالة أن تعرف ما كنت تنكر وأن تنكر ما كنت تعرف، وإياك والتلوّن في دين الله فإن دين الله واحد»(١) يوضحه قوله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «.. فمن أحب منكم أن يعلم أصابته الفتنة أم لا فلينظر؛ فإن كان يرى حلالا ما كان حراما أو حراما ما كان يراه حلالا فقد أصابته الفتنة»(٢) وذلك بسبب الشبهات ونقص دينه وإيمانه وتغير عقله وفكره، فيتغير الميزان عنده، وينقلب الحلال البيّن حراما والحرام البيّن حلالا، بل قد يصل إلى أن يرى المعروف منكرا والمنكر معروفا فيرى حسنا ما ليس بالحسن، وذلك ليس نتيجة ظهور

(١) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه: ٢٠٤٥٤ وابن بطة في الكبرى(٥٧١-٥٧٣) واللالكائي في شرح الأصول(١٢٠) والبيهقي في سننه (١٠/ ٤٢) وأورده الطبراني في الكبير، وجزء منه مرفوع (٦/ ١٩٦).

(٢) الفتن لنعيم بن حماد (١٢٩- ص٦١).

دليل كان خافيا عليه فيتغير بذلك اجتهاده، فهذا محمود بل متعين، وهو الذي يحمل عليه قول عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ولا يمنعنّك قضاء قضيته بالأمس فراجعت فيه نفسك وهديت لرشدك أن ترجع إلىٰ الحقّ، فإن الحقّ لا يبطله شيء، واعلم أن مراجعة الحقّ خير من التمادي في الباطل»(١).

ومعلوم أن كثرة التنقل وعدم الثبات من سمات أهل الأهواء، وقد قال عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ: «من جعل دينه عرضة للخصومات أكثر التنقل»(٢).

كما أن الثبات علىٰ الحق من سمات وخصائص أهل السنة والجماعة، يقول ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَأَمَّا أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْحَدِيثِ فَمَا يُعْلَمُ أَحَدٌ مِنْ عُلَمَائِهِمْ وَلَا صَالِحِ عَامَّتِهِمْ رَجَعَ قَطُّ عَنْ قَوْلِهِ وَاعْتِقَادِهِ»(٣).

---

(١) أخرجه الدارقطني في سننه ٤٤٧١ (٥/ ٣٦٩).

(٢) أخرجه الدارمي في سننه ٣١٠ والآجري في الشريعة١١٦ واللالكائي(٢١٦).

(٣) مجموع الفتاوىٰ (٤/ ٥٠).

والمؤمن أحوج ما يكون إلىٰ الثبات علىٰ الحق دائما في جميع أحايينه، وخاصة في ثلاثة مواطن:

عند ظهور الفتن واختلاط الأمور والتباسها.

عند الجهاد وتلاحم الصفوف وتناثر الأشلاء.

عند الموت، ومفارقة الدنيا والإقبال علىٰ الآخرة بأهوالها.

تعريف الشبهات لغة واصطلاحا:

الشبهات جمع شبهة والشين والباء والهاء أصل واحد يدل علىٰ تشابه الشيء وتشاكله لونًا ووصفا(١).

وهي في اللغة بمعنىٰ التماثل والتشابه، وبمعنىٰ الالتباس والخلط، وسميت بذلك لأنها يلتبس فيها الحق بالباطل فيضل بها بعض الناس، وغالبا ما يخلط أهل الأهواء الحق بالباطل لتمرير باطلهم علىٰ الناس لأن الباطل المحض لا يشتبه علىٰ الناس، ولذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «وكل ذي مقالة ــ يعني: مخالفة للحق ــ فلا بد أن

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٣/ ٢٤٣).

تكون في مقالته شبهة من الحق، ولولا ذلك لما راجت»(١).

وغالب الشبهات مغلفة بشيء من الشهوات، ظهرت أو خفيت، قلَّتْ أو كثرت، وغالبا لا توجد شبهة إلا وقد خرجت من رحم شهوة، فالشبهات تَنبُت في أرض الشهوات، وبينهما تلازم، قال تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٧].

وإثارة الشبهات وكثرتها ليست دليلا علىٰ بطلان الحق والتشكيك فيه؛ لأنه ما من حق ودليل إلا ويمكن أن ترد عليه شبه السوفسطائية؛ لأن السفسطة لا تعدو كونها خيالا فاسدا أو عنادا صريحا للحق، وكلاهما لا ضابط له بل هو بحسب ما يخطر علىٰ النفوس من الخيالات الفاسدة والمعاندات الجاحدة(٢).

ولذا كان من هدي السلف الصالح التحذير من الشبه ومجالسة أهلها والاستماع إليها؛ فإن الشبه خطافة والقلوب ضعيفة.

---

(١) جامع الرسائل (٢/ ٤٠٢).

(٢) شرح العقيدة الأصبهانية (ص٦٠) تحقيق د. محمد السعوي.

أهمية الموضوع:

وبين يدي الحديث عن هذا الموضوع لسائل أن يسأل لماذا الحديث عن هذا الموضوع؟ وفي هذا الوقت؟ وما سبب اختياره موضوعا للحديث؟

والجواب عن ذلك من عدة أمور:

١ـ لأن الثبات مطلب أساس لكل مسلم صادق يريد سلوك الطريق المستقيم والنجاة من عذاب الجحيم، وهذا ديدن الأنبياء والمرسلين وأتباعهم فهذا رسول الله ﷺ المعصوم كثيرًا ما يرد في دعائه: «**اللهم مصرِّف القلوب صرف قلوبنا علىٰ طاعتك**»(١) وفي رواية لأحمد: «**يا مثبت القلوب**»، وفي حديث آخر: «**اللهم مصرف القلوب اصرف قلوبنا إلىٰ طاعتك**»(٢).

---

(١) رواه مسلم ـ كتاب القدر ـ باب تصريف الله تعالىٰ القلوب كيف شاء ٦٩٢١ (٨/ ٥١).

(٢) مسند أحمد بن حنبل ٦٥٦٩ (٢ / ١٦٨) وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح علىٰ شرط مسلم رجاله ثقات رجال الشيخين غير أبي هانيء وأبي عبد الرحمن الحبلي فمن رجال مسلم.

وروىٰ الترمذي عن شهر بن حوشب قال قلت لأم سلمة: يا أم المؤمنين ما كان أكثر دعاء رسول الله ﷺ إذا كان عندك؟ قالت: كان أكثر دعائه: «**يا مقلب القلوب ثبت قلبي علىٰ دينك**». قالت: قلت يا رسول الله ما أكثر دعاءك يا مقلب القلوب ثبت قلبي علىٰ دينك؟ قال: «**يا أم سلمة إنه ليس آدمي إلا وقلبه بين أصبعين من أصابع الله فمن شاء أقام ومن شاء أزاغ**» فتلا معاذ: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٨] (١).

وكان من دعائه ﷺ إذا قام من الليل يَفْتَتِحُ صَلاَتَهُ بقوله: «**اللهم رب جبرائيل، وميكائيل، وإسرافيل، فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلىٰ صراط مستقيم**»(٢).

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٦ / ٣٠٢، ٣١٥) والترمذي في السنن [وحسنه] ٣٥٢٢ (٥/ ٥٣٨) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم ٢٠٩١.

(٢) رواه مسلم ـ كتاب صلاة المسافرين وقصرها ـ باب الدعاء في صلاة =

وهذا خليل الرحمن عليه السلام يتضرع إلىٰ الله ويقول: ﴿وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥] وقد كان إبراهيم التيمي رَحِمَهُ اللَّهُ يقول: «منْ يأمن البلاء بعد الخليل حين يقول: وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعبد الْأَصْنامَ»(١).

وكيف يأمن المسلم والنبي ﷺ يقول في حديث ابن مسعود: «فوالذىٰ لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتىٰ ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها.... الحديث»(٢).

٢- وضع المجتمعات الحالية التي يعيش فيها المسلمون وكثرة أنواع الفتن والتقلبات والإغراءات وأصناف الشهوات والشبهات التي أضحىٰ بسببها القابض علىٰ دينه كالقابض علىٰ

=

الليل وقيامه٧٧٠ (١/ ٥٣٤).

(١) تفسير القرطبي (٩ / ٣٦٨).

(٢) أخرجه البخاري ــ كتاب بدء الخلق ــ بَابُ ذِكْرِ المَلاَئِكَةِ ٢٨٩٨(٤/ ١١١) ومسلم ـ كتاب القدر ـ بَابُ كَيْفِيَّةِ خَلْقِ الْآدَمِيِّ فِي بَطْنِ أُمِّهِ وَكِتَابَةِ رِزْقِهِ وَأَجَلِهِ وَعَمَلِهِ وَشَقَاوَتِهِ وَسَعَادَتِهِ ٣٢٠ (٤/ ٢٠٣٦).

الجمر، كما ذكر ذلك النبي ﷺ حين قال: «**يأتي على الناس زمان الصابر فيهم على دينه كالقابض على الجمر**»(١).

٣- كثرة حوادث الانتكاس والنكوص على الأعقاب، ووجود مراكز ومواقع لتبني الإلحاد ونشر الشبهات المؤدية إلى ذلك، إضافة إلى ضعف التدين العام فصرنا نرى بعض من كانوا يهزُّون المنابر بالخطب والمواعظ وإذا هم إما قد أخلدوا إلى الأرض واتبعوا أهواءهم، أو أصبحوا دعاة ضلالة، تتلقفهم القنوات المشبوهة لبث تراجعاتهم وهدم ما كانوا قد بنوه، ونشر فتاواهم الجديدة، وطروحاتهم التنويرية ـ زعموا ـ.

٤ـ كثرة مصادر هذه الشبهات ودخولها في كل بيت وسهولة التواصل مع الأمم مع ضعف الحصانة الدينية، وذلك عن طريق وسائل التواصل الاجتماعي، والفضائيات وبرامج الحوارات والمناظرات، وغيرها من الوسائل. مع اختلاف المواقف وتعدد المناهج في التعامل مع المستجدات.

---

(١) رواه الترمذي في الفتن، وقال: [هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ] - ٢٢٦٠ (٤/ ٥٢٦) وصححه الألباني.

٥ـ شغف كثير من المسلمين بتتبع هذه الشبهات في مصادرها، والإصغاء إليها وقراءة كتب وروايات أهل الأهواء بحجة ضرورة الانفتاح علىٰ الآخر، وعدم الجمود والانغلاق، مع تفنن الأعداء وبراعتهم في زعزعة ثوابت الأمة والتشكيك في دينها.

والشبه خطافة تخطف القلوب وتزرع الشكوك وتنزع اليقين، والقلوب ضعيفة.

٦ـ ارتباط الموضوع بالقلب، وسمي القلب قلبا لتقلبه كما ورد في الحديث: «**لقلب ابن آدم أشد انقلابا من القدر إذا استجمعت غليانا**»(١).

فالفتن والشبهات أخطر ما تكون علىٰ القلب، فهي التي تعمي البصر وتقلب الحقائق، يقول حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**تعرض الفتن علىٰ القلوب كالحصير**

(١) أخرجه الطبراني في مسند الشاميين عن المقداد بن الأسود برقم ٢٠٢١ قال الشيخ الألباني: (صحيح) انظر حديث رقم: ٥١٤٧ في صحيح الجامع.

عودا عودا، فأيما قلب أشربها نكت فيه نكتةٌ سوداء، وأي قلب أنكرها نكت فيه نكتةٌ بيضاء حتىٰ تصير علىٰ قلبين، علىٰ أبيض مثل الصفا فلا تضره فتنة ما دامت السموات والأرض والآخر أسود مربادا[١] كالكوز مجخيا[٢] لا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا إلا ما أشرب من هواه»[٣].

فبالفتن يصيب القلب آفتان: سواده وانتكاسه ويتولد عن ذلك مرضان: لا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا، والعياذ بالله.

وفي المسند عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ فيما روي عنه: «**الْقُلُوبُ أَرْبَعَةٌ: قَلْبٌ أَجْرَدُ فِيهِ مِثْلُ السِّرَاجِ يَزْهَرُ، وَقَلْبٌ أَغْلَفُ مَرْبُوطٌ عَلَىٰ غِلَافِهِ، وَقَلْبٌ مَنْكُوسٌ، وَقَلْبٌ مُصْفَحٌ، فَأَمَّا الْقَلْبُ الْأَجْرَدُ: فَقَلْبُ الْمُؤْمِنِ سِرَاجُهُ فِيهِ نُورُهُ،**

---

(١) الرُّبْدة لون ين السواد والغبرة، ومعناه: اربداد القلب من حيث المعنىٰ لا الصورة، يعني: ميل القلب إلىٰ السواد. ينظر: النهاية (٢/ ١٨٣).

(٢) المجخِّي: المائل عن الاستقامة والاعتدال، فشبه القلب الذي لا يعي خيرا بالكوز المائل الذي لا يثبت فيه شيء. النهاية (١/ ٢٤٢).

(٣) أخرجه مسلم ـ كتاب الإيمان ـ باب بيان أن الإسلام بدأ غريبا ٢٣١ (١/ ١٢٩).

وَأَمَّا الْقَلْبُ الْأَغْلَفُ: فَقَلْبُ الْكَافِرِ، وَأَمَّا الْقَلْبُ الْمَنْكُوسُ: فَقَلْبُ الْمُنَافِقِ عَرَفَ، ثُمَّ أَنْكَرَ، وَأَمَّا الْقَلْبُ الْمُصْفَحُ: فَقَلْبٌ فِيهِ إِيمَانٌ وَنِفَاقٌ، فَمَثَلُ الْإِيمَانِ فِيهِ كَمَثَلِ الْبَقْلَةِ يَمُدُّهَا الْمَاءُ الطَّيِّبُ، وَمَثَلُ النِّفَاقِ فِيهِ كَمَثَلِ الْقُرْحَةِ يَمُدُّهَا الْقَيْحُ وَالدَّمُ، فَأَيُّ الْمَدَّتَيْنِ غَلَبَتْ عَلَىٰ الْأُخْرَىٰ غَلَبَتْ عَلَيْهِ»(١).

فالواجب علىٰ المسلم الحريص علىٰ سلامة قلبه الاجتهاد في تكثير مادة الإيمان، وتقليل مادة النفاق ما استطاع إلىٰ ذلك سبيلا.

وأكثر ما تكون مادة الإيمان من:

- الإخلاص لله تعالىٰ.
- العلم بالوحي وتلاوته وتدبره والعمل به.

---

(١) مسند أحمد بن حنبل ١١١٤٥ (٣/ ١٧) ورواه الطبراني في الصغير (ص٢٢٣) وأبو نعيم في الحلية (٤/ ٣٨٥) قال الهيثمي في مجمع الزوائد(١/ ٦٣): «فيه ليث بن أبي سليم» وجوّد السيوطي إسناده كما في الدر(١/ ٢١٥) وأحمد شاكر إسناده في تعليقه علىٰ تفسير الطبري (٢/ ٣٢٥) وضعفه الألباني في الضعيفة (ح٥١٥٨) ورواه بنحوه ابن أبي شيبة في المصنف موقوفا علىٰ حذيفة٣٠٤٠٤ (٦/ ١٦٨) وصححه الألباني موقوفا.

- الذكر وكثرة الدعاء.
- الإكثار من نوافل العبادة بعد الفرائض.
- الصحبة الصالحة.
- الثقة بالله ووعده ولقائه وحسن الظن به تعالىٰ.

وأكثر مادة النفاق من:

- الرياء والعجب، وتزكية النفس.
- الغفلة وقلة الذكر، وهجر القرآن.
- الجهل بالكتاب والسنة.
- الفتور في العبادة وترك النوافل.
- حب الدنيا والاشتغال بها.
- مجالسة الغافلين اللاهين.
- قراء كتب أهل الأهواء والشبه، ومتابعة مواقعهم وتغريداتهم وقنواتهم وحواراتهم.

فنسأل الله المزيد من الإيمان والبر والتقوىٰ، ونعوذ به من النفاق وسيئ الأخلاق.

وهذا أوان الشروع في بيان وسائل الثبات، ثبتنا الله وإياكم علىٰ الإيمان وسائر الطاعات.

صفحة بيضاء

وسائل الثبات

من خلال تأمّل وتدبر كتاب الله تعالىٰ وأحاديث رسوله ﷺ وهدي السلف الصالح رضوان الله عليهم تبين لنا أن هناك بعض الوسائل المهمة، والمعينة علىٰ الثبات علىٰ دين الله الحق، وخاصة في زمان الفتن والشبهات، والعواصف الفكرية التي تعصف بأفكار وأذهان المسلمين وانتشار الشهوات، ومن أهم تلك الوسائل ما يلي:

الوسيلة الأولى

الاعتصام بالكتاب والسنة ظاهرا وباطنا، علما وعملا وتأملا

والاعتصام: افتعال من العصمة، وهي المنعة، والعاصم المانع الحامي، والاعتصام الاستمساك بالشيء[1] والمراد به هنا: الاستمساك بالكتاب والسنة، قال تعالىٰ: ﴿فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الزُّخرُف: ٤٣] فالوحي وسيلة التثبيت الأولىٰ، وهو حبل الله المتين، والنور المبين، من تمسك به عصمه الله، ومن اتبعه أنجاه الله، ومن دعا إليه هُدي إلىٰ صراط مستقيم، وقد بين الله تعالىٰ هذه الوسيلة أتمّ بيان فقال عز وجل: ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ١٠٢].

كما ذكرها تعالىٰ في بيان الغاية من تنزيل القرآن منجما ومفرقا في معرض الرد علىٰ شبه الكفار فقال عز من قائل:

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/ ٢٤٩) وينظر: المفردات في غريب القرآن (ص٣٣٧).

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا﴾ [الفرقان: ٣٢].

ومن الاعتصام بالقرآن الاعتصام بالسنة النبوية؛ لأن الله تعالىٰ أمرنا بذلك في القرآن في أكثر من سبعين موضعا، وكذب من زعم أنه يعمل بالقرآن دون السنة، فلا يمكن أن يكون عاملا بالقرآن إلا إذا عمل بالسنة، قال تعالىٰ: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا﴾ [النساء: ٨٠] وقال ﷺ: «**لا ألفين أحدكم متكئا علىٰ أريكته يأتيه أمر مما أمرت به أو نهيت عنه فيقول: ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه**»(١).

وعن أيوب السختياني أن رجلا قال لمطرّف بن عبد الله بن الشخير: «لا تحدثنا إلا بما في القرآن» فقال مطرف: «إنا والله لا نريد بالقرآن بديلا، ولكن نريد من هو أعلم بالقرآن منا»(٢).

---

(١) أخرجه أبو داود ح: ٤٦٠٥ والترمذي ٢٦٦٣ وقال: «حسن صحيح» وصححه الألباني في صحيح الجامع(٢/ ١٢٠٤).

(٢) أخرجه البيهقي في المدخل(ص٣٣١) وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله(٢/ ١٩١).

لماذا كان القرآن مصدرا للتثبيت؟

لأنه يزرع الإيمان في القلب ويزيده، ويزكي النفس ويقوي صلتها بالله تعالىٰ.

والقلب هو محل القلق والاضطراب والميل إلىٰ الشهوات أو التأثر بالشبهات، والطمأنينة أن يعافيه الله من ذلك، فعلاجه مقصور علىٰ ذكر الله، فالآيات تنزل بردا وسلاما علىٰ القلب الذي تعصف به الفتن فيطمئن بذكر الله قال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

ولأنه يضبط موازين المسلم الفكرية وتصوراته الذهنية، وأصوله الخلقية، فلا يضطرب حكمه ولا تختلف نظرته للأمور، ولا تتناقض أقواله ومواقفه أمام الأحداث والنوازل، لأنه ما من نازلة إلا وحكمها في كتاب الله تعالىٰ علمه من علمه وجهله من جهله.

ولأنه يرد علىٰ أصول كثير من الشبهات التي يثيرها أعداء الإسلام من الكفار والمنافقين، قال الإمام الشافعي

رحمه الله: «فليست تنزل في أحد من أهل دين الله نازلة إلا وفي كتاب الله سبيل الهدىٰ فيها»(١)، قال تعالىٰ: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٣]، وقال الإمام أحمد رحمه الله «لو تدبر إنسان القرآن، كان فيه ما يرد علىٰ كل مبتدع وبدعته»(٢)، كما أن أهل السنة يجزمون أن أهل البدع لا يكادون يحتجون بحجة سمعية أو عقلية إلا وهي عند التأمل حجة عليهم(٣) والواقع يُثبت ذلك.

ولأنه النور الذي يهتدي به المسلم إلىٰ الحق قال تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورىٰ: ٥٢]، وقال تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١٧٤]، وقال تعالىٰ: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي

(١) الرسالة (١/ ٢٠).
(٢) السنة للخلال (١/ ٥٤٧).
(٣) مجموع الفتاوىٰ (٦/ ٢٥٤)، وحادي الأرواح (٢٠٨).

ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام: ١٢٢]، وقال تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [الأنفال: ٢٩] ، ويجمع ذلك كله قوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ [الإسراء: ٩]، أَيِ: الطَّرِيقَةُ الَّتِي هِيَ أَسَدُّ وَأَعْدَلُ وَأَصْوَبُ(١).

ومن هنا ندرك الفرق بين الذين ربطوا حياتهم بالقرآن وأقبلوا عليه تلاوة وحفظا وتفسيرا وتدبرا وعملا: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ [البقرة: ١٢١] ، فمنه ينطلقون، وإليه يفيئون، لهم وردهم اليومي كالوجبة الرئيسة التي لا يمكن نسيانها أو يُتشاغل عنها، لها سنام الوقت وأوله وأفضله، وبين من جعلوا

(١) انظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٣/ ١٧) وقد بيّن ذلك في قرابة(٥٠) صفحة أوضح فيها أن القرآن يهدي للتي هي أقوم في كل شئون الحياة، سياسية كانت أو اقتصادية أو اجتماعية.

لكلام البشر جلّ اهتمامهم وقراءاتهم وشغلهم الشاغل، خاصة كتب مرضىٰ القلوب الذين كانوا فريسة للشبهات، فما نفعوا أنفسهم، فضلا عن أن يفيدوا غيرهم.

الوسيلة الثانية

الفقه في دين الله تعالى

لأن الشبه مبناها علىٰ أمرين:

فساد في العلم وهو الجهل، ويترتب عليه الضلال.

فساد في القصد وهو الهوىٰ، ويترتب عليه الغواية، والغضب من الله تعالىٰ، وكلاهما لا يرفعها إلا الفقه في دين الله المورث لرفع الجهل والعلم بالله تعالىٰ وخشيته وزيادة الإيمان واليقين.

وقد نفىٰ الله تعالىٰ هذين الدائين عن نبيه وخليله ﷺ فقال تعالىٰ: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾ [النجم: ٢] والضلال بسبب الجهل والغواية بسبب سوء القصد وحاشاه ﷺ عن ذلك، وقال تعالىٰ: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ [النجم: ٢٣] فاتّباع الظن فساد في العلم، وما تهوىٰ الأنفس فساد في القصد، والسلامة إنما هي في اتباع الهدىٰ الذي جاء من ربنا تبارك وتعالىٰ ليهدينا به إلىٰ سواء السبيل، ويشفي

به قلوب العباد من الشبه الممرضة، ويحميهم من الشهوات المغلقة، قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾ [فُصِّلَت: ٤٤] فهو هدىٰ للذين آمنوا، فيه العلم الرافع لداء الجهل، وفيه الشفاء الناجع بالإرادة الصحيحة الرافع لداء الهوىٰ وفساد القصد والنيات.

لذا شرع الله تعالىٰ علىٰ المكلفين في كل ركعة من صلاتهم الاستعاذة من طريق المغضوب عليهم ـ وهم من فسد قصدهم ـ والضالين ـ وهم من فسد علمهم ـ بعد سؤال الهداية إلىٰ الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم الله تعالىٰ عليهم، فسلّمهم من طريق المغضوب عليهم وطريق الضالين.

يقول ابن القيم رحمه الله تعالىٰ في بيان قوله تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ

يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران: ٧] وهذه الفتنة تنشأ إمّا:

من فهم فاسد.

أو نقل كاذب.

أو حق ثابت خفي علىٰ الرجل فلم يظفر به.

أو غرض فاسد وهوىٰ متّبع، فهي من عمىٰ البصيرة وفساد في الإرادة»(١).

وعلاج ذلك كله بالفقه في الدين، ورفع الجهالة عن النفس، وتقوية اليقين بالله والزيادة من خشيته ومحبته تعالىٰ فقد قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر: ٢٨] فيخلص لله عمله ويتجرد من هواه قال تعالىٰ: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠-٤١] ولذلك قال حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لا تضرك الفتنة ما عرفت دينك»(٢).

---

(١) إغاثة اللهفان (٢/ ١٦٦).

(٢) مصنف ابن أبي شيبة ٣٧٢٩٢ (٧/ ٤٦٨).

وكَانَ معاذ بن جبل لاَ يَجْلِسُ مَجْلِسًا لِلذِّكْرِ حِينَ يَجْلِسُ إِلاَّ قَالَ «اللهُ حَكَمٌ قِسْطٌ هَلَكَ الْمُرْتَابُونَ» وقَالَ يَوْمًا: «إِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ فِتَنًا يَكْثُرُ فِيهَا الْمَالُ وَيُفْتَحُ فِيهَا الْقُرْآنُ حَتَّىٰ يَأْخُذَهُ الْمُؤْمِنُ وَالْمُنَافِقُ وَالرَّجُلُ وَالْمَرْأَةُ وَالصَّغِيرُ وَالْكَبِيرُ وَالْعبد وَالْحُرُّ فَيُوشِكُ قَائِلٌ أَنْ يَقُولَ مَا لِلنَّاسِ لاَ يَتَّبِعُونِيْ وَقَدْ قَرَأْتُ الْقُرْآنَ مَا هُمْ بِمُتَّبِعِيَّ حَتَّىٰ أَبْتَدِعَ لَهُمْ غَيْرَهُ فَإِيَّاكُمْ وَمَا ابْتُدِعَ فَإِنَّ مَا ابْتُدِعَ ضَلاَلَةٌ»(١).

ومما يدلّ علىٰ أن العلم هو العاصم من الفتن والشهوات ما ورد عن ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، أنه جاء رجل فقال له: «اكتب لي العلم كله» فقال له ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: «إن العلم كثير، ولكن إن استطعت أن تلقىٰ الله تعالىٰ وأنت خفيف الظهر من دماء المسلمين خميص البطن من أموالهم عفيف اللسان من أعراضهم فافعل»(٢).

---

(١) سنن أبي داوود ٤٦١٣ والبيهقي ٢١٤٤٤ وقال الألباني: «صحيح الإسناد موقوف» انظر صحيح وضعيف أبي داود حديث رقم ٤٦١١.

(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر (٥٢/ ٢٥٦) وسير أعلام النبلاء (٣/ ٢٢٢).

وقال أبو القاسم: سمعت مالكا يقول: «إن أقواما ابتغوا العبادة وأضاعوا العلم فخرجوا علىٰ أمة محمد بأسيافهم ولو ابتغوا العلم لحجزهم عن ذلك»(١).

وعن الحسن قال: «العامل علىٰ غير علم كالسائر علىٰ غير طريق، والعامل علىٰ غير علم ما يفسد أكثر مما يصلح»(٢) ثم ذكر نحو ما تقدم عن الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ.

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «أكثر ما نجد الردة فيمن عنده قرآن بلا علم وإيمان، أو عنده إيمان بلا علم وقرآن، فأما من أوتي القرآن والإيمان فحصل فيه العلم فهذا لا يرفع عن صدره»(٣).

فسبيل النجاة بعد توفيق الله تعالىٰ إنما هو بالعلم النافع والعمل الصالح.

---

(١) مفتاح دار السعادة (١/ ١١٩) وروي نحوه عن الحسن كما في المصدر التالي.

(٢) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر (ص٩٠٥)، وينظر: الاعتصام للشاطبي (٣/ ١٠١).

(٣) مجموع الفتاوىٰ (١٨/ ٣٠٥).

والعلم ما قام علىٰ الدليل، والنافع ما جاء به الرسول، ﷺ.

وفي المقابل فأكبر أسباب وعوامل الانتكاس ما يقابلهما وهما:

الجهل. وعلاجه بالعلم والفقه في الدين.

رقة التدين. وعلاجه بتقوية الإيمان، وخشية الرحمن تعالىٰ، ودوام ذكره، والعمل الصالح.

وهذا ما سيكون الحديث عنه بعد قليل إن شاء الله.

فالإلمام بالعلم الشرعي، والتشبع بالفقه العقدي، وفق منهج سلفي، مطلب جوهري في غاية الأهمية والإلحاح، مطلب يمنح صاحبه حصانة فكرية، ويزوده بمناعة نفسية، ويورثه عزة وقناعة تامة بصواب توجهه، ويمده بحيوية ذهنية وقدرة فذة علىٰ القراءة النقدية التي تضعه أمام الحقيقة الموضوعية لهذه الأفكار الوضعية التي تغذي أخيلة مستهلكيها بالمفاهيم الكاسدة، والأفكار المتناقضة مع أسسنا الفكرية، والمخالفة لسلّمنا القيمي المستوحىٰ من نصوص الوحيين[1].

(١) مجلة البيان ـ العدد [٢٢٩] ص٩٤ رمضان ١٤٢٧ من مقال جيد =

ولذلك فإن أكبر عوامل التذبذب وعدم الثبات هو الجرأة علىٰ مخالفة النصوص ومعارضتها، كما هو حاصل اليوم-وللأسف الشديد- قال شيخ الإسلام: «من تعود علىٰ معارضة الشرع بالرأي لم يستقر في قلبه الإيمان»(١).

فالذي يتعين علىٰ المسلم الاعتناء به والاهتمام ــ كما قال الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ ــ أن يبحث عما جاء عن الله ورسوله ﷺ، ثم يجتهد في فهم ذلك والوقوف علىٰ معانيه، ثم يشتغل بالتصديق بذلك إن كان من الأمور العلمية وإن كان من الأمور العملية بذل وسعه في الاجتهاد في فعل ما يستطيعه من الأوامر واجتناب ما ينهىٰ عنه، فيكون همته مصروفة بالكلية إلىٰ ذلك لا إلىٰ غيره، وهكذا كان حال أصحاب النبي ﷺ والتابعين لهم بإحسان في طلب العلم النافع من الكتاب والسنة(٢).

=

بعنوان «الغرور العقلي والانتكاس الفطري» لفضيلة الشيخ عبد الله السعوي.

(١) درء التعارض(١/ ١٨٧).

(٢) جامع العلوم والحكم (ص٧٩).

فمن حقق ذلك فحريّ أن يثبته الله تعالىٰ علىٰ الصراط المستقيم، ويسلك به سبيل النجاة التي يجمعها فعل المأمور وترك المحذور، والتصديق بما أخبر به الله تعالىٰ ورسوله ﷺ، قال تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ﴾ [الليل: ٥-٧] ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ﴾ فعل المأمور ﴿وَٱتَّقَىٰ﴾ ترك المحذور ﴿وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ﴾ بتصديق ما أخبر الله به ورسوله ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ﴾ فمن جمع هذه الأمور الثلاثة فمآله إلىٰ النجاة والفلاح(١). والعكس بالعكس ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ﴾ ترك المأمور، ﴿وَٱسْتَغْنَىٰ﴾ فعل المحذور، ﴿وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ﴾ لم يصدق ما أخبر الله تعالىٰ به ورسوله ﷺ، فنتيجته ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾ والله المستعان.

❀❀❀❀❀

(١) تفسير السعدي (ص ٩٢٦).

الوسيلة الثالثة

تحقيق التوحيد، وقوة التعلق بالله تعالى

من المعلوم أن سلامة المعتقد وإخلاص العبادة لله والتعلق به تعالىٰ وحده، وعدم الالتفات إلىٰ أحد سواه من أقوىٰ أسباب الثبات علىٰ الحق مهما قويت المؤثرات واشتدت الخطوب؛ وذلك لأن التوحيد هو السبيل الوحيدة إلىٰ طمأنينة النفس، والثقة بالله تعالىٰ، والإيمان بما أعده للصابرين في سبيله، والرضا بقضائه، واستشعار معيته سبحانه وتعالىٰ لعبده، هذه من أكبر وسائل الثبات علىٰ الحق، ظهر ذلك جليا في ثبات النبي ﷺ في كل مواقفه، ومنها ما كان في الغار ونزول قول الله تعالىٰ: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٤٠].

وكذلك ثبات أصحابه رضوان الله عليهم مع ما أصابهم

من أنواع الأذىٰ لصدهم عن دينهم كبلال وصهيب وخباب وعمار وغيرهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

ومما يؤكد أثر الإيمان والتوحيد في ثبات القلب علىٰ الحق ما قصّه الله تعالىٰ علينا من خبر أصحاب الكهف، قال تعالىٰ: ﴿نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ [الكهف: ١٣] فهم فتية آمنوا في زمن غربة الدين وقلة الناصر والمعين فكافأهم ربهم تبارك وتعالىٰ علىٰ إيمانهم بزيادة الإيمان فزادهم إيمانا مع إيمانهم، وثبّتهم علىٰ ذلك، فقال تعالىٰ: ﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا﴾ [الكهف: ١٤] أي صبّرناهم وثبّتناهم في تلك الحال المزعجة، فدل ذلك علىٰ أن الإيمان والتوحيد من أكبر أسباب التثبيت علىٰ الحق.

كما يؤكد ذلك ما ذكره الله تعالىٰ عن صحابة رسوله ﷺ في قصة حمراء الأسد، فأنزل فيهم قرآنا يُتلىٰ مؤكدا وعده تعالىٰ لهم، فقال تعالىٰ: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ

فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٧٣ - ١٧٥].

كما أكد تعالىٰ ذلك في سورة الأحزاب في قوله عز وجل: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٢٢].

فأكبر وسائل التثبيت هي قوة الإيمان، وتحقيق التوحيد والتوكل علىٰ الله تعالىٰ، وعدم الالتفات إلىٰ غيره عز وجل.

كما نجد أن الله تعالىٰ قد ضمن الأمن الشامل لعباده الموحدين، المخلصين في العبادة، السالمين من الشرك، فأمنهم من كل مخوف سواء أكان دنيويا أو أخرويا، وهداهم إلىٰ الصراط المستقيم فسلمهم من الزيغ والانحراف عنه، قال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ [الأنعام: ٨٢] وقد جاء تفسير هذا الأمن علىٰ لسان النبي ﷺ، فعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: لَمَّا

نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ شَقَّ ذَلِكَ عَلَىٰ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَقَالُوا: أَيُّنَا لَمْ يَلْبِسْ إِيمَانَهُ بِظُلْمٍ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّهُ لَيْسَ بِذَاكَ، أَلَا تَسْمَعُ إِلَىٰ قَوْلِ لُقْمَانَ لِابْنِهِ**: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]»(١).

بل جاء التصريح بالوعد بالتثبيت علىٰ الحق للموحدين علىٰ وجه الخصوص بعد أن ضرب الله المثل لكلمة التوحيد بالشجرة، فقال تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾ [إبراهيم: ٢٤-٢٦] قال الله تعالىٰ بعدها مباشرة: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا

(١) رواه البخاري ــ كتاب التفسير ــ بَابُ ﴿لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ ٤٧٧٦ (٦/ ١١٥).

يَشَآءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧] فدلّ علىٰ أن تحقيق التوحيد هو أعظم أسباب الثبات.

وتأمل في المثل المضروب ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ﴾ أي: كلمة التوحيد في مقابل الكلمة الخبيثة التي لا ثبات لها ﴿ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾.

فالكلمة الطيبة ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ﴾ وبها ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾.

قال قتادة: «﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ فيثبتهم بالخير والعمل الصالح، ﴿وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ في القبر»(١).

والأدلة علىٰ أثر التوحيد في التثبيت كثيرة، ولعل فيما ذكرنا كفاية، والله أعلم.

(١) تفسير ابن أبي حاتم ـ تفسير سورة إبراهيم ـ (٧/ ٢٢٤٦).

الوسيلة الرابعة

كثرة ذكر الله تعالى

قال الله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا﴾ [الأحزاب: ٤١].

فذكر الله تعالىٰ هو قوت القلوب ومادة حياتها وروحها، وهو الزاد المثبت لقلب المؤمن قال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

وقد أمر الله بكثرة الذكر حتىٰ في أحلك الظروف وأصعب المواقف، حين تبلغ القلوب الحناجر وترتعد الفرائص فيكون أحوج ما يكون إلىٰ التثبيت، قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [الأنفال: ٤٥].

لذا فإن أكثر ما يعين المرء علىٰ استقامة قلبه وثباته علىٰ الصراط المستقيم أمران:

المداومة علىٰ ذكر الله، كما تقدم.

وتذكر نعم الله تعالىٰ عليه.

وقد جمع الله تعالىٰ بينهما في قوله تعالىٰ: ﴿فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢] فهذه من أهم المحركات التي تحرك القلب إلىٰ الله تعالىٰ، وتعينه علىٰ السير علىٰ المنهج القويم، وهما مع الصبر من أكبر أركان الثبات علىٰ الحق.

وبالذكر تحصل للعبد معية الله تعالىٰ كما في الحديث القدسي: «**أنا مع عبدي حيث ذكرني وتحركت بي شفتاه**»(١) وحديث الصحيحين: «**أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني، في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم، وإن تقرب إلي بشبر تقربت إليه**

(١) رواه البخاري تعليقا ـ كتاب التوحيد ـ بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ﴾ (٩/ ١٥٣) ابن حبان في صحيحه- باب الأذكار- ذِكْرُ رَجَاءِ سُرْعَةِ الْمَغْفِرَةِ لِذَاكِرِ اللهِ إِذَا تَحَرَّكَتْ بِهِ شَفَتَاهُ ٨١٥ (٣/ ٩٧) والطبراني في الأوسط (٦/ ٣٦٣).

ذراعا، وإن تقرب إلي ذراعا تقربت إليه باعا، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة»(١).

وكانت الوصية النبوية: «**لايزال لسانك رطبا من ذكر الله**»(٢).

وقال ﷺ: «**مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر مثل الحىٰ والميت**»(٣).

وعند ابن أبي شيبة في مصنفه، عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «**الْبَيْتُ الَّذِي لاَ يُقْرَأُ فِيهِ الْقُرْآنُ كَمَثَلِ الْبَيْتِ الْخَرِبِ الَّذِي لاَ عَامِرَ لَهُ**»(٤) فيكون هذا القلب مرتعا

---

(١) أخرجه البخاري ــ كتاب التوحيد ــ بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ ٧٤٠٥ (٩/ ١٢١) صحيح مسلم ــ كتاب الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ وَالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ ــ بَابُ فَضْلِ الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ وَالتَّقَرُّبِ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ ٦٩٨١ (٤/ ٢٠٦١).

(٢) أخرجه الترمذي من حديث عبد الله بن بسر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ برقم ٣٣٧٥ وقال الشيخ الألباني: صحيح

(٣) أخرجه البخاري ـ باب فضل ذكر الله عز وجل ـ ٦٤٠٧ (٨/ ١٠٧).

(٤) مصنف ابن أبي شيبة ٣٠٠٢٢ (٦/ ١٢٧).

للشياطين بشبهاتها ودسائسها.

فبالذكر تحيا القلوب وتستنير الطريق، ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٢].

الوسيلة الخامسة

الاجتهاد في الأعمال الصالحة

بامتثال المأمورات الشرعية، والبعد عن المنهيات وإحياء السنن وسائر الطاعات.

وهذا مع تحقيق الإيمان والتوحيد من أكبر أسباب تحقيق الحياة الطيبة المطمئنة السالمة من التقلبات والتنقلات المقلقة، قال تعالىٰ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧] وذلك بتحقيق شرطي العبادة:

الإخلاص لله تعالىٰ، وتقدم الكلام عليه في الفقرة السابقة.

المتابعة للرسول ﷺ.

فللمتابعة والتزام السنة الأثر الواضح في الثبات، قال تعالىٰ: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ ۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ [النور: ٥٤] وأكثر ما يكون القلق وعدم الثبات فيمن تفلت من

السنة ﴿وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا﴾ [الكهف: ٢٨] فأعماله وأفعاله تفريط وسفه وضياع(١).

وقال تعالىٰ: ﴿... وَلَوۡ أَنَّهُمۡ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ وَأَشَدَّ تَثۡبِيتٗا﴾ [النساء: ٦٦]

فجعل فعل ما يوعظون به من الأوامر الشرعية وترك المنهيات سببا في تثبيتهم وإثابتهم، فالثبات لا يكون باستماع المواعظ فقط، وإنما يكون (بفعل) هذه المواعظ المسموعة وتطبيقها في الواقع.

كما أن من أكبر وسائل الثبات علىٰ الحق إحياء السنن والتشبّث بها، وإماتة البدع وحربها، قال ﷺ: «**فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَىٰ اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ..إلخ**»(٢) فحثّ عليه

(١) تفسير ابن كثير (٥/ ١٥٤).

(٢) أخرجه أحمد في المسند ١٧١٤٣ (٤/ ١٢٧) وأبو داود في السنن ــ باب لزوم السنة ٤٦٠٧ (٤/ ٢٠٠) وابن حبان بترتيب ابن بلبان (١/ ١٧٩) وصححه الألباني في الصحيحة ح: ٢٧٣٥.

الصلاة والسلام بالتمسك بالسنة واجتناب البدعة، وخاصة عند وقوع الاختلاف والاضطراب فدلّ على أن ذلك من أكبر أسباب الثبات.

كما حثّ عليه الصلاة والسلام على المبادرة إلى الأعمال الصالحة قبل حلول الفتن فقال ﷺ كما في حديث أبي هريرة عند مسلم وغيره «بادروا بالأعمال فتنا كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمنا ويمسي كافرا، أو يمسي مؤمنا ويصبح كافرا، يبيع دينه بعرض من الدنيا»[1] فالمبادرة بالأعمال الصالحة مؤذن بالثبات عند الفتن والإحن المزلزلة المقلقة.

ولهذا لا يُتوقع ثبات من الكسالى القاعدين عن الأعمال الصالحة، فأكثر الانتكاسات تكون في الأشخاص الذين قلّ عملهم مع كثرة علمهم، فلا يزيدهم علمهم إلا وبالا، فالعلم الذي لا يعمل به صاحبه وبال عليه، وسبب لهلاكه.

---

(١) أخرجه مسلم ـ باب الحث على المبادرة بالأعمال قبل تظاهر الفتن ٣٢٨ (١ / ٧٦).

فالذي أشغل نفسه بالعمل الصالح لم يفتح علىٰ قلبه نافذة للشكوك والشبه، لذلك قيل «النفس إن لم تشغلها بطاعة الله أشغلتك بمعصيته»(١) «والنفس إن لم تتحرك تأسن، وإن لم تنطلق تتعفن»(٢) كما قال بعض الحكماء: «إن البطون إذا جاعت أكلت الجيف، كذلك العقول إذا جاعت أكلت عفونة الأفكار، ولا بد من ملء هذه الأفكار بالفكر النافع وهو الإيمان بالله تعالىٰ»(٣).

ويقول الشيخ عبد الحليم محمود رَحِمَهُ اللَّهُ: «والظاهرة الملاحظة في كل الأوساط علىٰ مر التاريخ أنه كلما كان الدين يقينا ثابتا، وكلما كان الإيمان قويا ومسيطرا قلّ النزوع إلىٰ الفلسفة، والمؤمن الذي غلب عليه الإيمان وسيطر علىٰ نفسه الدين لا يستسيغ أن يتجاوزه ويتفلسف»(٤).

---

(١) عيوب النفس، للنيسابوري(ص ٢٨).

(٢) موسوعة فقه الابتلاء (٤/ ٣٧٨).

(٣) مقتبس من كلام مسجل للدكتور سلطان القاسمي، حاكم الشارقة.

(٤) الإسلام والعقل(ص٥٨).

وسيأتي مزيد بيان في الوسيلة الثانية عشرة: مجانبة أهل الأهواء والضالين المضلين.

والأمة اليوم أحوج ما تكون للدعوة إلىٰ التوحيد والعمل الصالح والإصلاح والتوجيه بالنصيحة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ فتلك وظيفة الرسل وأتباعهم قال تعالىٰ: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُۖ وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡۖ وَقُلۡ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٖۖ وَأُمِرۡتُ لِأَعۡدِلَ بَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡۖ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡۖ لَا حُجَّةَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَاۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [الشورىٰ: ١٥] وقال تعالىٰ: ﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨].

الوسيلة السادسة

عبادة الخلـــوات

ومـن هـذه الطاعـات والأعمـال الـصالحات: عبـادة الخلوات، فعلىٰ المرء أن يجعل له خبيئة من عمل صالح لا يطلع عليها إلا الله، فإنه يجدها ساعة أحوج ما يكون إليها، كما في قصة أصحاب الغار الثلاثة، ففي الحديث أن النبي ﷺ قال: «**خَرَجَ ثَلاَثَةُ نَفَرٍ يَمْشُونَ فَأَصَابَهُمُ المَطَرُ، فَدَخَلُوا فِي غَارٍ فِي جَبَلٍ، فَانْحَطَّتْ عَلَيْهِمْ صَخْرَةٌ، قَالَ: فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: ادْعُوا اللهَ بِأَفْضَلِ عَمَلٍ عَمِلْتُمُوهُ، فَقَالَ أَحَدُهُمْ: اللَّهُمَّ إِنِّي كَانَ لِي أَبَوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ، فَكُنْتُ أَخْرُجُ فَأَرْعَىٰ، ثُمَّ أَجِيءُ فَأَحْلُبُ فَأَجِيءُ بِالحِلاَبِ، فَآتِي بِهِ أَبَوَيَّ فَيَشْرَبَانِ، ثُمَّ أَسْقِي الصِّبْيَةَ وَأَهْلِي وَامْرَأَتِي، فَاحْتَبَسْتُ لَيْلَةً، فَجِئْتُ فَإِذَا هُمَا نَائِمَانِ، قَالَ: فَكَرِهْتُ أَنْ أُوقِظَهُمَا، وَالصِّبْيَةُ يَتَضَاغَوْنَ عِنْدَ رِجْلَيَّ، فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ دَأْبِي وَدَأْبَهُمَا، حَتَّىٰ طَلَعَ الفَجْرُ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَافْرُجْ عَنَّا فُرْجَةً نَرَىٰ مِنْهَا السَّمَاءَ، قَالَ: فَفُرِجَ عَنْهُمْ، وَقَالَ الآخَرُ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي كُنْتُ أُحِبُّ امْرَأَةً مِنْ بَنَاتِ عَمِّي كَأَشَدِّ مَا يُحِبُّ**

الرَّجُلُ النِّسَاءَ، فَقَالَتْ: لاَ تَنَالُ ذَلِكَ مِنْهَا حَتَّىٰ تُعْطِيَهَا مِائَةَ دِينَارٍ، فَسَعَيْتُ فِيهَا حَتَّىٰ جَمَعْتُهَا، فَلَمَّا قَعَدْتُ بَيْنَ رِجْلَيْهَا قَالَتْ: اتَّقِ اللهَ وَلاَ تَفُضَّ الخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ، فَقُمْتُ وَتَرَكْتُهَا، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَافْرُجْ عَنَّا فُرْجَةً، قَالَ: فَفَرَجَ عَنْهُمُ الثُّلُثَيْنِ، وَقَالَ الآخَرُ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي اسْتَأْجَرْتُ أَجِيرًا بِفَرَقٍ مِنْ ذُرَةٍ فَأَعْطَيْتُهُ، وَأَبَىٰ ذَاكَ أَنْ يَأْخُذَ، فَعَمَدْتُ إِلَىٰ ذَلِكَ الفَرَقِ فَزَرَعْتُهُ، حَتَّىٰ اشْتَرَيْتُ مِنْهُ بَقَرًا وَرَاعِيهَا، ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ: يَا عبد اللهِ أَعْطِنِي حَقِّي، فَقُلْتُ: انْطَلِقْ إِلَىٰ تِلْكَ البَقَرِ وَرَاعِيهَا فَإِنَّهَا لَكَ، فَقَالَ: أَتَسْتَهْزِئُ بِي؟ قَالَ: فَقُلْتُ: مَا أَسْتَهْزِئُ بِكَ وَلَكِنَّهَا لَكَ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَافْرُجْ عَنَّا فَكُشِفَ عَنْهُمْ»(١).

وعبادة الخلوات من أعظم وسائل الثبات حتىٰ الممات، وذنوب الخلوات من أعظم أسباب الانفلات، وهي أصل

(١) رواه البخاري ـ كتاب البيوع ـ بَابُ إِذَا اشْتَرَىٰ شَيْئًا لِغَيْرِهِ بِغَيْرِ إِذْنِهِ فَرَضِيَ ٢٢١٥ (٣/ ٧٩)، ومسلم ـ كتاب الرقاق ـ باب قصة أصحاب الغار الثلاثة والتوسل بصالح الأعمال ٢٧٤٣(٤/ ٢٠٩٩).

الانتكاسات، كما أشار إليه ابن رجب رحمه الله تعالىٰ(١).

ومن أعظم عبادة الخلوات قيام الليل، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡئٗا وَأَقۡوَمُ قِيلٗا﴾ [المزَّمل: ٦] وقال تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ [الإسراء: ٧٩]، ومن ذلك الصدقة الخفية وذكر الله خاليًا كما في الصحيحين عن النبي ﷺ في السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، وذكر منهم: «**ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتىٰ لا تعلم يمينه ما تنفق شماله، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه**»(٢).

ونحن لنا من خبيء السيئات ما لا يعلمه إلا الله، وقد سترها الله تعالىٰ.

كما قال عون بن عبد الله، رحمه الله: «لا يغرنك ثناء من جهل أمرك!»(٣).

---

(١) ينظر: جامع العلوم والحكم (١/ ١٧٢).

(٢) صحيح البخاري ـ ٦٦٠(١ / ١٦٨) صحيح مسلم ـ باب فضل إخفاء الصدقة. ٢٤٢٧ (٣ / ٩٣).

(٣) أدب الدنيا والدين (ص ٢٣٥).

فعلينا بالاستغفار منها، والاستكثار من خبيء الحسنات، لأن الحسنات يذهبن السيئات، والأصل أن تكون الحسنة من جنس السيئة، فذلك أحرىٰ لمحوها، وإزالة آثارها، فإن كانت السيئة خبيئة فينبغي أن تكون الحسنة كذلك، وإن كانت مالية كانت من جنسها، وإن كانت بدنية كانت الحسنة كذلك، وقد قيل: الحسنة العظيمة تكفر السيئة العظيمة.

وتتبين خطورة ذنوب الخلوات، كما في حديث ثوبان عند ابن ماجة وغيره عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّهُ قَالَ: «**لأَعْلَمَنَّ أَقْوَامًا مِنْ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَسَنَاتٍ أَمْثَالِ جِبَالِ تِهَامَةَ بِيضًا، فَيَجْعَلُهَا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ هَبَاءً مَنْثُورًا**»، قَالَ ثَوْبَانُ: يَا رَسُولَ اللهِ، صِفْهُمْ لَنَا، جَلِّهِمْ لَنَا أَنْ لاَ نَكُونَ مِنْهُمْ، وَنَحْنُ لاَ نَعْلَمُ، قَالَ: «**أَمَا إِنَّهُمْ إِخْوَانُكُمْ، وَمِنْ جِلْدَتِكُمْ، وَيَأْخُذُونَ مِنَ اللَّيْلِ كَمَا تَأْخُذُونَ، وَلَكِنَّهُمْ أَقْوَامٌ إِذَا خَلَوْا بِمَحَارِمِ اللهِ انْتَهَكُوهَا**»(١).

والله سبحانه وتعالىٰ قد يسهل للإنسان ذنوب الخلوات ليختبر إيمانه كما قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَيَبۡلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ

(١) سنن ابن ماجه ح: ٤٢٤٥ وقال الشيخ الألباني: صحيح.

بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلصَّيۡدِ تَنَالُهُۥٓ أَيۡدِيكُمۡ وَرِمَاحُكُمۡ لِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ [المائدة: ٩٤] فقد كانت الصيود في متناول أيدي الصحابة يمسكون الصيد العادي باليد وينالون الصيد الطائر بالرماح فيسهل عليهم جداً، ولكنهم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ خافوا الله ـ عز وجل ـ بالغيب فلم يقدموا علىٰ أخذ شيء من هذه الصيود(١).

وهكذا يجب علىٰ المرء إذا هُيّئت له أسباب الفعل المحرم أن يتقي الله - عز وجل - وأن لا يقدم علىٰ فعله، وأن يعلم أن تيسير أسبابه من باب الابتلاء والامتحان، فليحجم، وليصبر فإن العاقبة للمتقين، ولا يكن الله أهون الناظرين إليه، قال يحيىٰ بن معاذ: «من ستر من الناس ذنوبه، وأبداها لمن لا تخفىٰ عليه خافية - فقد جعله أهون الناظرين إليه، وهو من أمارات النفاق»(٢).

لذلك إذا أردت أن تعرف مدىٰ إيمانك فراقب نفسك في

(١) انظر: تفسير الطبري (٨ / ٦٧٠).

(٢) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري (٤/ ٢٦٥).

الخلوات، فإن الإيمان لا يظهر في مجرد أداء بعض الأعمال الظاهرة، بل يظهر في مجاهدة النفس والهوى، وأكثر الانتكاس يكون في الأشخاص الذين تكون أعمالهم الظاهرة أعظم من الباطنة؛ لأن الباطنة هي القاعدة فلا تحمل ما هو أثقل منها كما قيل.

الوسيلة السابعة

الاجتهاد في العمل لهذا الدين ونصرته

وذلك بالدعوة إليه والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهاد في سبيل الله بوسائله المشروعة، والأصل في ذلك قول الحق تبارك وتعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾ [محمد: ٧] فوعد الله تعالىٰ بالنصر والتثبيت مَن نصر الله تعالىٰ بنصرة دينه، والجهاد في سبيله، كما توعد من نكص عن ذلك بالذل والهوان بعد العز والرفعة، قال ﷺ: «**إذا تبايعتم بالعينة**[(١)]**، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد، سلط الله عليكم ذلا لا ينزعه حتىٰ ترجعوا إلىٰ دينكم**»[(٢)].

---

(١) صورة العينة هي أن يبيع السلعة بثمن مؤجل ثم يشتريها مرة أخرىٰ بثمن أقل، ولظهور الحيلة الربوية في هذا النوع من البيوع ذهب جماهير العلماء من السلف والخلف إلىٰ تحريمه حتىٰ قال محمد بن الحسن الشيباني في إحدىٰ صور العينة: «هذا البيع في قلبي كأمثال الجبال اخترعه أكلة الربا» ينظر: فتح القدير (٧/ ٢١٣).

(٢) أخرجه أبو داود ح: ٣٤٦٢ وصححه ابن تيمية، انظر: مجموع

والمحاربة والجهاد لنصرة هذا الدين نوعان: محاربة باليد ومحاربة باللسان، قال شيخ الإسلام: «والمحاربة باللسان في باب الدين قد تكون أنكىٰ من المحاربة باليد..، ولذلك كان النبي عليه الصلاة والسلام يقتل من كان يحاربه باللسان مع استبقائه بعض من حاربه باليد خصوصا محاربة الرسول الله عليه الصلاة والسلام بعد موته فإنها إنما تكون باللسان، وكذلك الإفساد قد يكون باليد وقد يكون باللسان وما يفسده اللسان من الأديان أضعاف ما تفسده اليد»(١).

وهنا تظهر أهمية محاربة المنافقين والعلمانيين وأصحاب الشبهات ببيان الحق ودحض الباطل قال تعالىٰ: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٢] أي بالقرآن، وهذا جهاد العلماء، قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وتبليغ سنته إِلَىٰ الْأمة أفضل من تَبْلِيغ السِّهَام إِلَىٰ نحور الْعَدو لِأَن ذَلِك التَّبْلِيغ يَفْعَله كثير من النَّاس، وَأما تَبْلِيغ السّنَن

=

الفتاوىٰ(٢٩/ ٣٠) والألباني في الصحيحة ح: ١١.

(١) الصارم المسلول علىٰ شاتم الرسول ت الحلواني (ص ٣٩٢)

فَلَا تقوم بِهِ إِلَّا وَرَثَة الْأَنْبِيَاء وخلفاؤهم فِي أممهم، جعلنَا الله تَعَالَىٰ مِنْهُم بمنه وَكَرمه»[١].

ولهذا سُمي جهاد المنافقين بالحجة والبيان بجهاد الخاصة، الذين هم أتباع الرسل، وهو جهاد الأئمة، وهو أفضل الجهادين لعظم منفعته وشدة مُؤنته وكثرة أعدائه[٢].

(١) جلاء الأفهام (ص ٤١٥).

(٢) مفتاح دار السعادة (١/ ٧٠).

الوسيلة الثامنة

الدعاء واللجأ إلى الله تعالى، وسؤاله التثبيت

قال تعالىٰ مبينا أن من دعاء الراسخين في العلم: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٨] ، وقال تعالىٰ عن طالوت وجنوده: ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٠] وقد تقدم معنا شيء من النصوص في هذا المعنىٰ.

وورد من الدعاء النبوي: «**اللهم ألهمني رشدي**[1]،

---

(١) الرشد: خلاف الغي، وهو الهداية إلىٰ الحق والسداد، ولذلك قال أصحاب الكهف: ﴿رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ [الكهف: ١٠] والجن لما سمعوا القرآن أول مرة قالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۝ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ [الجن: ١-٢] وقال موسىٰ عليه السلام لما بلغ الرجل الصالح: ﴿قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ [الكهف: ٦٦] وكان من وصية الله تعالىٰ: ﴿وَقُل عَسَىٰ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ =

وأعذني من شر نفسي»(١)، وفي رواية: «**اللهم إني أسألك الثبات في الأمر والعزيمة على الرشد**» وفيه: «**وأسألك شكر نعمتك، وحسن عبادتك، وأسألك قلبا سليما ولسانا صادقا، وأسألك من خير ما تعلم، وأعوذ بك من شر ما تعلم، وأستغفرك لما تعلم، إنك أنت علام الغيوب**»(٢).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وهاتان الكلمتان هما جماع الفلاح، وما أُتِيَ العبد إلا من تضييعهما أو تضييع إحداهما، فما أتي أحد إلا من باب العجلة والطيش، واستفزاز البداءات له، أو من باب التهاون والتماوت وتضييع الفرصة بعد

=

مِنْ هَٰذَا رَشَدًا﴾ [الكهف: ٢٤].

(١) أخرجه الترمذي ح: ٣٤٨٣ وقال: «غريب». والنسائي ح: ١٣٠٤ (٣/ ٥٤)، وأحمد في المسند ح: ١٧١١٤ (٢٨/ ٣٣٨) و١٧١٣٣ (٢٨/ ٣٥٦)، وابن حبان في صحيحه ح: ٩٣٥، والطبراني في الأوسط (٤/ ٢٨٠) وصححه ابن القيم في الوابل الصيب (ص١٩٩).

(٢) رواه النسائي في السنن (٣/ ٥٤)، والترمذي في سننه ٣٤٠٧ (٥/ ٦٧٤) وأحمد في المسند (٤/ ١٢٥) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ١٧٣): «له طرق عديدة يتقوى بها».

موافاتها، فإذا حصل الثبات أولا والعزيمة ثانيا أفلح كل الفلاح، والله ولي التوفيق»[١]

لذا فالواجب علىٰ العبد الفرار إلىٰ الله واللياذ والانطراح والانكسار بين يديه سبحانه، والافتقار إليه، عز وجل في سؤال الهداية والبصيرة، وأن يلهمه رشده، وأن يهديه لما اختلف فيه من الحق بإذنه، وأن يثبته عليه حتىٰ الممات.

(١) مفتاح دار السعادة (١/ ١٤٢).

الوسيلة التاسعة

سلامة الطريق والمنهج المتبع، والثقة به

فذلك سبيل المؤمنين والصراط المستقيم، وهو منهج السلامة أيضا، وهو ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه والسلف الصالح من أهل السنة والجماعة، قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

والمؤمنون المعنيون بهذه الآية عند نزولها هم صحابة رسول الله ﷺ، فدلّ علىٰ ضرورة اتباع سبيلهم لتحقيق النجاة والسلامة، ومن اتبع غير سبيل السلف الصالح من الصحابة والتابعين فقد عَرَّض نفسه للمهالك.

وتبرز معالم منهج السلف الصالح في أمور منها:

١ - أنه منهج رباني متلقىٰ من الوحي المعصوم لا من أفكار البشر واجتهاداتهم قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلۡحَقِّ مِن رَّبِّكُمۡ فَـَٔامِنُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ وَإِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا﴾ [النساء: ١٧٠].

فالمنهج السلفي ليس رأيا واجتهادا تحتكره جماعة أو حزب أو جمعية لنفسها، بل هو سبيل الله وصراطه المستقيم (كسفينة نوح) من ركبها نجا مهما كان لونه وعصره وجنسه، ومن حاد عنها وتخلّف هلك وغرق مهما كان لونه وعصره وجنسه، إنه الإسلام بمعناه الشمولي الصحيح، لكن لما تعددت المشارب، وحكمت الآراء المختلفة والأهواء المحدثة، وحدث ما كان حذر منه النبي ﷺ من «**شح مطاع، وهوىً متبع، ودنيا مؤثرة، وإعجاب كل ذي رأي برأيه**»(١) حصل التفرق والتحزب والتعصب والاختلاف ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الروم: ٣٢] فكان ذلك أكبر أسباب الوهن الذي أصاب الأمة بمقتل ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦].

٢ـ أنه منهج واحد لا تعدد فيه ولا تشعب، قال تعالىٰ:

---

(١) أخرجه أبو داود في باب الأمر والنهي ٤٣٤١ (٢ / ٥٢٦)، وابن ماجة في الفتن ٤٠١٤ والترمذي في التفسير ٤٠٥٨ وقال حسن غريب، وأخرجه الحاكم في المستدرك - (٤ / ٣٢٢)وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ.

﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣]. قال ابن جرير: يَعْنِي: قَوِيمًا لاَ اعْوِجَاجَ بِهِ عَنِ الْحَقِّ. ﴿فَاتَّبِعُوهُ﴾ يَقُولُ: فَاعْمَلُوا بِهِ، وَاجْعَلُوهُ لِأَنْفُسِكُمْ مِنْهَاجًا تَسْلِكُونَهُ فَاتَّبِعُوهُ. ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾ يَقُولُ: وَلاَ تَسْلُكُوا طَرِيقًا سِوَاهُ، وَلاَ تَرْكَبُوا مَنْهَجًا غَيْرَهُ»(١).

وعن ابن مسعود، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: خَطَّ رسول الله - ﷺ - خَطًّا بيده، ثم قال: «**هذا سبيل الله مستقيمًا**»، قال: ثم خطّ عن يمينه وشماله، ثم قال: «**هذه السُّبُل، وليَس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه**»، ثم قرأ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾(٢).

---

(١) تفسير الطبري (٩/ ٦٦٩).

(٢) أخرجه أحمد في المسند (١/ ٤٣٥) وابن جرير في التفسير (٨/ ٨٨) والدارمي في سننه ٢٠٨(١/ ٦٠) والحاكم في المستدرك (٢/ ٣١٨) وصححه ووافقه الذهبي وصححه أحمد شاكر في تخريجه للمسند (٦/ ٨٩-٩٠) والألباني في ظلال الجنة (١/ ٢١٣).

وفي رواية أن ابن مسعود، رضي الله تعالىٰ عنه، سئل عن الصراط المستقيم فقال: «تركنا محمد ﷺ في أدناه وطرفه في الجنة، وعن يمينه جوادّ، وعن يساره جواد، وثَمَّ رجال يدعون من مرّ بهم، فمن أخذ بتلك الجوادّ انتهت به إلىٰ النار، ومن أخذ علىٰ الصراط انتهىٰ به إلىٰ الجنة، ثم قرأ ابن مسعود: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾(١).

ولذا جاء لفظ[النور] في القرآن الكريم مفردا بينما جاءت[الظلمات] بصيغة الجمع، كما في قوله تعالىٰ: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ ۗ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٧] وفي هذا إشارة إلىٰ أن طريق الحق[النور] واحدة، بينما طرائق الباطل[الظلمات] متعددة.

وفي هذا يقول ابن القيم رحمه الله في نونيته المشهورة:

---

(١) تفسير الطبري (٨/ ٨٨).

فلواحد كن واحدا في واحد

أعني سبيل الحق والإيمان(١)

وقال رحمه الله: «ولا تكون الطريق صراطا حتىٰ تتضمن خمسة أمور: الاستقامة، والإيصال إلىٰ المقصود، والقرب، وسعته للمارين عليه، وتعينه طريقا للمقصود، ولا يخفىٰ تضمن الصراط المستقيم لهذه الأمور الخمسة»(٢).

فلما توحد المنهج توحد السائرون عليه واجتمعت قلوبهم وانتظم أمرهم، وما قد يقع بينهم من خلاف فإنه محكوم بالرجوع إلىٰ الحكم العدل، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩].

ولما تعددت المناهج تعددت الجماعات والأحزاب

(١) نونية ابن القيم = الكافية الشافية (ص ٢١٩).

(٢) مدارج السالكين (١/ ١٠-١١)، وبدائع الفوائد (٢/ ٢٥١) فما بعدها وأطال فيها.

فوقع بينهم الاختلاف والافتراق فكان ذلك من أسباب عدم ثبات المرء علىٰ دينه، فإما أن يتنقل بين هذه المناهج بحثا عن الحق، وأنّىٰ له ذلك إلا ما وافق منهج الرسول ﷺ، وإما أن يصاب بشيء من الشك والريب فيصبح مترددا متذبذبا شاكا، فيقع في شراك الحيرة وعدم اليقين، وإما أن ينكص علىٰ عقبيه فينفلت من الاستقامة والطاعة والتدين، وينقاد لشياطين الهوىٰ والجن والإنس.

٣ - أنه منهج كامل تام، قال تعالىٰ: ﴿ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة: ٣].

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «أخبر الله نبيه والمؤمنين أنه أكمل لهم الدين فلا يحتاجون إلىٰ زيادة أبدا، وقد أتمه فلا ينقصه أبدا، وقد رضيه فلا يسخطه أبدا»(١).

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ

(١) تفسير الطبري (٩/ ٥١٨).

﴿إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام: ٣٨]، والمراد بالكتاب هنا: اللوح المحفوظ، وقيل: القرآن، أي: ما فرطنا في شيء بكم إليه حاجة إلا وبيناه في الكتاب، إما نصًا، وإما مجملاً، وإما دلالة(١)، دلّ علىٰ ذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩] ، فالمراد بالكتاب هنا القرآن الكريم قال ابن مسعود: «قد بين لنا في هذا القرآن كل علم وكل شيء» وقال مجاهد: «كل حلال وحرام» وكلام ابن مسعود أشمل(٢).

فمن أكبر نعم الله تعالىٰ علىٰ هذه الأمة أن أكمل لها دينها فلا تحتاج إلىٰ دين سواه، ولا إلىٰ نبي غير نبيها الخاتم المبعوث للثقلين، الجن والإنس، فالحلال ما أحله الله والحرام ما حرمه، والدين ما شرعه، وكل ما أخبر به النبي ﷺ فهو صدق وحق، وكل ما حكم به فهو عدل وقسط، فعلىٰ

(١) زاد المسير في علم التفسير (٢/ ٢٦).
(٢) تفسير ابن كثير (٢/ ٩٠٣).

الأمة أن ترضىٰ بما رضيه الله تعالىٰ لها لتفوز في الدارين وتنجو من عذاب الشك والحيرة والتذبذب بين الأديان والمذاهب والأفكار.

٤ـ أنه منهج صالح ومصلح أيضا لكل زمان ومكان، ولكل أمة وجيل، عام لعموم الإنس والجان، باق ما بقي الليل والنهار، قال الله تعالىٰ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨] وقال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سبأ: ٢٨]. وقال ﷺ: «**أُعطِيتُ خمسًا لم يُعْطَهُنَّ أَحدٌمن الأنبياء قَبْلي، نُصِرْتُ بالرُّعْبِ مَسيرةَ شهرٍ، وجُعِلَتْ لي الأَرضُ مَسجداً وطَهوراً، فأيُّما رجُلٍ من أُمَّتي أَدركَتْه الصَّلاةُ فَلْيُصَلِّ، وأُحِلَّتْ لي الغنائمُ؛ ولم تَحِلَّ لأَحدٍ قَبْلي، وأُعطيتُ الشفاعةَ، وكانَ النبيُّ يُبْعَثُ إلىٰ قَومِه خاصَّةً، وبُعِثْتُ إلىٰ الناسِ عامَّةً**» وفي روايةٍ:

«**كافةً**»(١).

وأما دليل بقائه فقد قال ﷺ: «**لا تزال طائفة من أمتي علىٰ الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتىٰ يأتي أمر الله**»(٢) وفي رواية عند البخاري: «**لا يزال طائفة من أمتي ظاهرين حتىٰ يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون**»(٣)، فهذا وعد نبوي لا يخلف في البشارة بأن الأرض لا ولن تخلُ من طائفة قائمة لله فيها بحجة، قد بيَّن النبي ﷺ أن من أبرز صفاتها وسماتها:

أ - أنها علىٰ الحق.

ب - أنها منصورة. كما في رواية ابن ماجه عن عثمان بن قرة، عن أبيه ح: ٦ (١/ ٤٥)، وعن ثوبان ح: ١٠ (١/ ٤٨)،

---

(١) أخرجه البخاري في التيمم(واللفظ له) ـ ٣٣٥ (١/ ٩١) ومسلم ـ باب جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا ٥٢١ (١/ ٣٧٠).

(٢) أخرجه مسلم في باب «لا تزال طائفة من أمتىٰ ظاهرين علىٰ الحق لا يضرهم من خالفهم» ٥٠٥٩ (٦/ ٥٢).

(٣) صحيح البخاري ـ كتاب فرض الخمس ـ بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ﴾ ٣١١٦ (٤/ ٨٤).

وذلك يعني: في الحال والمآل.

ج - أنها ظاهرة بظهور الحجة وبيانها ووضوحها كما يشمل البروز وعدم الاستتار، فهم بارزون معروفون كما تدل علىٰ ثباتهم علىٰ ما هم عليه من الحق، ولذا جاء في بعض الروايات: «قائمين علىٰ الحق».

د - أنه لا يضرها خذلان المخذلين ولا مخالفة المخالفين.

هـ - أنها باقية قائمة إلىٰ قيام الساعة.

فمن وفقه الله إلىٰ سلوك منهج هذه الطائفة فليحمد الله وليثبت ولا يلتفت عنه يمنة ولا يسرة، فماذا بعد الحق إلا الضلال.

ومن كان علىٰ غير ذلك فليبادر إلىٰ الحق قبل فوات الأوان، ثم يندم ولات ساعة مندم.

٥ـ أنه منهج وسط متّزن معتدل بين الإفراط والتفريط في كل شيء، قال الله تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾

[البقرة: ١٤٣] وقال ﷺ: «**هلك المتنطعون، قالها ثلاثا**»(١).

قال ابن مسعود راوي الحديث: «والذي لا إله غيره ما رأيت أحدا كان أشد علىٰ المتنطعين من رسول الله ﷺ، وما رأيت أحدا كان أشد عليهم من أبي بكر، وإني لأرىٰ عمر أشد خوفا عليهم أو لهم»(٢).

وفي النهي عن الغلو أمر بالتوسط والاعتدال ؛ ولذا كان الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ومن تبعهم بإحسان من أهل السنة والجماعة أكثر الناس اعتدالا وتوسطا، مجانبين الإفراط ومجافين التفريط، نابذين التنطع، متباعدين عن التقصير، فهم الوسط في فرق الأمة، كما أن الأمة هي الوسط في الأمم، فكما حملوا المنهج الوسط والتزموه كانوا وسطا بين الطوائف المنتسبة إلىٰ الإسلام، حيث عصموا به من الغلو والجفاء ومن الإفراط والتفريط، ومن التعنت والتقصير.

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب العلم ــ باب هلك المتنطعون ٢٦٧٠ (٤/ ٢٠٥٥).

(٢) سنن الدارمي ـ المقدمة ـ (١/ ٦٥).

قال ابن القيم: «وقد ظهر بهذا أن التعمق والتنطع والتشديد الذي نهىٰ عنه رسول الله ﷺ هو المخالف لهديه وهدي أصحابه وما كانوا عليه، وأن موافقته فيما فعله هو وخلفاؤه من بعده هو محض المتابعة، وإن أباها وجهلها من جهلها، فالتعمق والتنطع مخالفة ما جاء به، وتجاوزه والغلو فيه، ومقابله إضاعته والتفريط فيه والتقصير عنه، وهما خطأ وضلالة وانحراف عن الصراط المستقيم والمنهج القويم، ودين الله تعالىٰ بين الغالي فيه والجافي عنه»(١).

٦-أنه منهج ثابت لا تغيير فيه ولا تبديل ولا تطوير؛ لأنه ليس خاضعا لاجتهادات البشر وآرائهم ومصالح بعضهم الخاصة، فلا يتغير بتغير الزمان والمكان والأحوال والدول والسياسات كما تتغير الوسائل، ولذا يثبت المستمسك به دائما ولا يتزعزع مهما كانت الظروف وتقلبات الأحوال، بينما تتخطف لجج الفتن وأمواجها من حاد عنه حتىٰ تغرقه، قال تعالىٰ: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم

(١) الصلاة وحكم تاركها (ص ٢٢٥).

مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴾ [الأحزاب: ٢٣] فالسُّنّة سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق، كما قال الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ(١).

يقول الإمام قوام السنة الاصبهاني رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَمِمَّا يدل عَلَىٰ أَن أهل الحَدِيث هم عَلَىٰ الْحق، أَنَّك لَو طالعت جَمِيع كتبهمْ المصنفة من أَوَّلهمْ إِلَىٰ آخِرهم، قديمهم وحديثهم مَعَ اخْتِلَاف بلدانهم وزمانهم، وتباعد مَا بَينهم فِي الديار، وَسُكُون كل وَاحِد مِنْهُم قطرا من الأقطار، وَجَدتهمْ فِي بَيَان الِاعْتِقَاد عَلَىٰ وتيرة وَاحِدَة، ونمط وَاحِد يجرونَ فِيهِ عَلَىٰ طَرِيقَة لَا يحيدون عَنْهَا، وَلَا يميلون فِيهَا، قَوْلهم فِي ذَلِكَ وَاحِد ونقلهم وَاحِد، لَا ترىٰ بَينهم اخْتِلَافا، وَلَا تفرقا فِي شَيْء مَا وَإِن قلّ(٢)، بل لَو جمعت جَمِيع مَا جرىٰ عَلَىٰ ألسنتهم، ونقلوه عَن سلفهم، وجدته كَأَنَّهُ جَاءَ من قلب وَاحِد، وَجرىٰ عَلَىٰ لِسَان وَاحِد، وَهل عَلَىٰ الْحق دَلِيل أبين

(١) أخرجه الهروي في ذم الكلام وأهله(٤/ ١٢٤).
(٢) يعني في الأصول وفي الجملة.

من هَذَا؟»(١).

٧ـ أنه منهج واضح لا خفاء فيه ولا غموض، قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ٥٢] وقال تعالىٰ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤] وعند ابن ماجه قال ﷺ: «**وَايْمُ اللهِ، لَقَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَىٰ مِثْلِ الْبَيْضَاءِ، لَيْلُهَا وَنَهَارُهَا سَوَاءٌ**»(٢) قال أبو الدرداء ـ راوي الحديث ـ: «صدق رسول الله ﷺ لقد تركنا علىٰ مثل البيضاء ليلها ونهارها سواء»، وما ذاك إلا لعلمه ﷺ بما أُنزل إليه وحرصه علىٰ بيانه واتّباعه له فصّل للأمة ما أجمل، وبيّن لهم ما أشكل، وأوضح لهم ما غمض، لأنه أنصح الناس للناس، وأفصحهم لسانا، وأصدقهم لهجة، وأقواهم حجة، وأبلغهم بيانا حتىٰ تهتدي الأمة فتفوز بالنجاة في الدارين(٣).

---

(١) الحجة في بيان المحجة (٢/ ٢٣٩).

(٢) سنن ابن ماجه ـ بَابُ اتِّبَاعِ سُنَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ (١/ ٤) بإسناد حسن، ينظر: السلسلة الصحيحة (٦٨٨).

(٣) ينظر: تفسير ابن كثير (٢/ ٨٨٥) والثبات علىٰ دين الله وأثره في الأمة =

قال ابن القيم رحمه الله «سبيل المؤمنين مفصلة، وسبيل المجرمين مفصلة، وعاقبة هؤلاء مفصلة، وعاقبة هؤلاء مفصلة، وأعمال هؤلاء وأعمال هؤلاء، وأولياء هؤلاء وأولياء هؤلاء، وخذلانه لهؤلاء وتوفيقه لهؤلاء، والأسباب التي وفق بها هؤلاء، والأسباب التي خذل بها هؤلاء، وجلَّىٰ سبحانه الأمرين في كتابه وكشفهما وأوضحهما وبيَّنهما غاية البيان حتىٰ شاهدتهما البصائر كمشاهدة الابصار للضياء والظلام»(١)

ولسائل أن يسأل: من المعروف أن المنهج السلفي واحد والآن تعددت المناهج وكل يدعي أنه علىٰ المنهج السلفي الصحيح؟

والجواب من وجوه:

أ ـ أن المنهج واحد لاتعدد فيه، وهو ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه ولكن الناس متفاوتون في الالتزام بهذا المنهج وفي

=

د. الأمين الصادق(٢/ ٨٠٨).

(١) الفوائد لابن القيم ١/ ١٠٨

فهمه، فيأخذ بعضهم بجزئه ويزعم أن هذا هو المنهج، ويفرط في جوانب كثيرة إما لهوىٰ، أو لعجز أو لجهل، أو لغير ذلك، فينخدع أو يخادع نفسه وغيره علىٰ أنه وحده هو الذي علىٰ المنهج السلفي بناء علىٰ التزامه بتلك الجزئية من ذلك المنهج.

ب ـ أنه ليس شرطا أن كل من ادعىٰ التزامه المنهج السلفي أن يكون كذلك، وإن تظاهر بأنه علىٰ ذلك، فالعبرة بالحقائق لا بالأسماء والإطلاقات.

ج ـ أن هذه التقسيمات للسلفية كالعلمية والجهادية والحركية والتقليدية والجديدة... إلخ صادرة أولاً عن مراكز غربية تسعىٰ إلىٰ الإضرار بالمسلمين وتفريق صفهم ـ كمؤسسة راند الأمريكية وغيرها ـ، ولكن ـ للأسف ـ تجد من المسلمين آذانا صاغية تتبناها وتسعىٰ إلىٰ ترسيخها علىٰ اعتبار أنها حقائق مسلّمة، ومعلوم دور الإعلام المغرض في نشر وترسيخ مثل هذه المفاهيم، وكذلك غفلة وسذاجة بعض المتصدرين من منتسبة العلم والدعوة.

نعم، لو كان هذا التقسيم قائما علىٰ التنوع في الاهتمامات مع اتحاد المنهج والتعاون والتناصح، كأن تهتم

طائفة بالجانب العلمي وأخرىٰ بالجهاد والثالثة بالدعوة، لكان هذا أمرا مقبولا، بل هو الأمر الطبيعي، كما قال الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ «إن الله قسم الأعمال كما قسم الأرزاق فرب رجل فتح له في الصلاة ولم يفتح له في الصوم، وآخر فتح له في الجهاد.. قال: فنشر العلم من أفضل أعمال البر، وقد رضيت ما فتح لي فيه، وأرجو أن يكون كلانا علىٰ خير»(١).

فالواجب أن تكون العلاقة بين هذه الجوانب المتنوعة هو التكامل، فالمجاهد لا يستغني عن العالم، والداعية لا يستغني عن العالم، وهكذا، فكلهم ينطلقون من منهج واحد واضح المعالم يجمعهم ولا يفرقهم.

ولكن هذا التقسيم ترتب عليه عند بعضهم من التعصب والتحزب المذموم ما هو مشاهد، فالمجاهد لا يرجع إلىٰ العالم، بل يحتقره ويحذر منه ويصفه بأبشع الصفات كالقاعد والمخلّف ونحوها، ويحكم عليه بالتبديع والتفسيق وقد يصل إلىٰ التكفير عند غلاتهم، ويتخذ هؤلاء ممن هم علىٰ

(١) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (٧/ ١٨٥).

شاكلتهم رؤوسا جهالا يجعلونهم في مقام العلماء يستفتونهم في الدماء والأعراض والأموال، فيفتون بغير علم فيَضِلّون ويُضِلون، وفي المقابل، نجد من بعض العلماء من يحقر المجاهدين ويلمزهم ويتهمهم بالعموم بما قد لا يكون ثابتا.. ومثلهم في الدعاة.

وهذا بلا شك من التحريش والتفرق الذي حذر الله تعالىٰ منه وحذر منه رسوله ﷺ، كما في قوله ﷺ: «**إن الشيطان أيس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب، ولكن في التحريش بينهم**»(١).

د ـ أن هذا الادعاء ليس مقصورا علىٰ المنهج السلفي بل حتىٰ علىٰ الإسلام نفسه، وقد سمعت أحدهم يقول: «الآن يوجد إسلام سني وإسلام شيعي وإسلام صوفي وإسلام كلامي فأيها نأخذ؟»، فهذه شبهة مرضىٰ القلوب، نسأل الله العافية تتكرر في كل زمان ومكان، والدين واحد، قال تعالىٰ:

---

(١) أخرجه مسلم ـ كتاب صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ ـ بَابُ تَحْرِيشِ الشَّيْطَانِ وَبَعْثِهِ سَرَايَاهُ لِفِتْنَةِ النَّاسِ وَأَنَّ مَعَ كُلِّ إِنْسَانٍ قَرِينًا ٢٨١٢ (٤/ ٢١٦٦).

﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [آل عمران: ١٩] وقال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

هـ ـ أن أخطاء الأفراد عند التطبيق لا تعد أخطاء في المنهج بإطلاق، ولا يلزم منها ذلك، فلا تلازم بين أخطاء الأفراد وبين المنهج، فقد يكون المنهج سليما ويخطئ الأفراد في تطبيقه وإلاّ لزم ذم الإسلام بسبب سوء تطبيقات بعض المسلمين له.

وإذا أردت معرفة أهمية سلامة المنهج في الثبات فتأمل في صفحات التاريخ قديما وحديثا، فالتنقل والاضطراب وعدم الثبات ملازم لأهل البدع والأهواء وديدنهم؛ فترىٰ أحدهم يتنقل من بدعة إلىٰ أخرىٰ، من الكلام إلىٰ الفلسفة إلىٰ التصوف إلىٰ الإرجاء، وكم تراجع من أساطين الكلام مع قوة عقولهم وذكائهم عما كانوا عليه، وذمُّوه وحذروا منه، ولعل أبا الحسن الأشعري رَحِمَهُ ٱللَّهُ أقرب مثال علىٰ ذلك فقد

كان معتزليا ثم كلابيا ثم عاد إلىٰ السنة، وكذلك الغزالي تنقل بين الكلام والفلسفة والتصوف، ويقال إنه حط رحاله آخر حياته علىٰ المنهج السني الصحيح(١).

بينما في المقابل: لو فكرت وتدبرت لما وجدت أحدا رجع من أهل السنة والجماعة عن طريقهم سخطة لسلوكه بعد توفيق الله له، يقول ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «أما السلف فلا أعلم عن أحد علمائهم ولا صالح عامتهم رجوعه عما هم عليه» وقال: «فالثبات والاستقرار في أهل الحديث والسنة أضعاف ما هو عند أهل الكلام والفلسفة»(٢).

نعم قد يتركه لأهواء وشهوات تعرض لعقله الضعيف لكنه لا يتركه لأنه قد رأىٰ غيره أصح منه أو تبين له بطلانه، ولذلك قال هرقل في أسئلته لأبي سفيان عن أتباع محمد ﷺ

(١) نقل السبكي في طبقات الشافعية الكبرىٰ(٦/ ٢١٠) كلاما طويلا لعبد الغافر الفارسي(ت ٥٢٩هـ) في الغزالي، ومنه: «وكانت خاتمة أمره إقباله علىٰ حديث المصطفىٰ ﷺ ومجالسة أهله ومطالعة الصحيحين: البخاري ومسلم». وينظر أيضا: (٦/ ٢١٥).

(٢) نقض المنطق (٤/ ٥١).

«هل يرتد منهم أحد سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه» فقال أبوسفيان: «لا» ثم قال هرقل: «وكذلك الإيمان إذا خالطت بشاشته القلوب»(١).

ولكن القلوب قد ترتد والعياذ بالله لهوىٰ أو لغرض من الأغراض الدنيوية الأخرىٰ.

وهذا أبوبكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ يقول لعمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ يوم الحديبية حين حاور النبي ﷺ في شأن بنود الصلح: «الزم غرزه حيث كان، فإني أشهد أنه رسول الله، قال عمر: وأنا أشهد»(٢) ولذلك يقول النبي ﷺ: «**ما دعوت أحدا إلىٰ الإسلام إلا كانت عنده كبوة وتردد ونظر إلا أبا بكر ما عتم**(٣) **منه حين**

(١) صحيح البخاري ـ كتاب بدء الوحي ٧ (١ / ٥).

(٢) مسند أحمد حديث رقم ١٨٩٣٠ وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن محمد بن إسحاق وإن كان مدلسا وقد عنعن إلا أنه قد صرح بالتحديث في بعض فقرات هذا الحديث فانتفت شبهة تدليسه.

(٣) عَتَمَ: (احْتَبَسَ عنِ فِعْلِ شَيءٍ يُرِيدُه) وعَتَمَ قِراهُ: أَبْطَأَه) تاج العروس من جواهر القاموس - (٣٣ / ٤٨). وجاء في رواية: (ما تلعثم).

ذكرته وما تردد فيه»(١) وكان رسول الله ﷺ نفسه يقول لعمر **«إني رسول الله، ولن يضيعني اللهُ أَبَدًا»**(٢).

وليس موقف الحديبية آخر المواقف التي ثبت فيها أبوبكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقد ظهر ثباته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يوم وفاة النبي ﷺ حينما اضطربت الأمور، وصُدم المسلمون بنبأ وفاته ﷺ حتىٰ أنكر ذلك بعض كبار الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فهذا عمر مع قوة إيمانه وثباته إلا أن هول الصدمة أفقده اتزانه حتىٰ صعد المنبر خطيبا يُنكر وفاة النبي ﷺ ويقول: «من قال إن محمداً قد مات فسأقطع رأسه». وفي هذه الأثناء ظهر ثبات أبي بكر رضي الله تعالىٰ عنه فقام وخطب بكل ثبات وقال في خطبته المشهورة: «أيها الناس، من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد

---

(١) رواه ابن إسحاق في سيرته بسنده (٢/ ١٢٠) وابن بطة في الإبانة الكبرىٰ (٩/ ٤٥٤).

(٢) أخرجه البخاري ـ كِتَابُ الجِزْيَةِ ـ بَابُ إِثْمِ مَنْ عَاهَدَ ثُمَّ غَدَرَ ٣١٨٢ (٤/ ١٠٣) ومسلم ـ كِتَابُ الْجِهَادِ وَالسِّيَرِ ـ بَابُ صُلْحِ الْحُدَيْبِيَةِ فِي الْحُدَيْبِيَةِ ١٧٨٥ (٣/ ١٤١١).

مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت»[١]. وها هو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يثبت يوم الردة حين اختلف الناس في ذلك الأمر الجلل، وقال بكل ثبات ويقين: «والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، ولو منعوني عقالا كانوا يأتون به لرسول الله ﷺ لقاتلتهم علىٰ منعها»[٢].

ولا شك أن من أكبر عوامل الثبات استشعار المرء سلامة الطريق الذي يسلكه وأنه ليس جديدًا ولا وليد قرنه وزمانه، وإنما هو طريق عتيق قد سار فيه من قبله الأنبياء والصديقون والشهداء والصالحون، قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾ [النساء: ٦٩].

وعَنْ خَالِدِ بن سَعْدٍ أَنَّ حُذَيْفَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ دَخَلَ عَلَيْهِ أَبُو مَسْعُودٍ الأَنْصَارِيُّ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ فَقَالَ: يَا

(١) السيرة النبوية لابن هشام - (٦ / ٧٥).

(٢) رواه البخاري- كتاب الزكاة- بَابُ أَخْذِ العَنَاقِ فِي الصَّدَقَةِ ١٤٥٦ (٢/ ١١٩)، ومسلم- كتاب الإيمان- بَابُ الْأَمْرِ بِقِتَالِ النَّاسِ حَتَّىٰ يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ ٢٠ (١ / ٥١).

أَبَا عبد اللهِ اعْهَدْ إِلَيْنَا فَقَالَ حُذَيْفَة: «أَو لم يَأْتِكَ الْيَقِينُ؟ اعْلَمْ أَنَّ الضَّلالَةَ حَقَّ الضَّلالَةِ أَنْ تَعْرِفَ مَا كُنْتَ تُنْكِرُ وَأَنْ تُنْكِرَ مَا كُنْتَ تَعْرِفُ وَإِيَّاكَ وَالتَّلَوُّنَ فِي دِينِ اللهِ فَإِنَّ دِينَ اللهِ وَاحِدٌ»(١).

وروىٰ معن بن عيسىٰ قال: انصرف مالك بن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يوما من المسجد وهو متكئ علىٰ يدي فلحقه رجل يقال له: أبو الحورية كان يتهم بالإرجاء فقال: يا عبد الله اسمع مني شيئا أكلمك فيه وأحاجك وأخبرك رأيي، قال: فإن غلبتني؟ قال: إن غلبتك اتبعتني، قال: فإن جاء رجل آخر وكلمنا فغلبنا؟ قال: نتبعه، قال مالك: «يا عبد الله بعث الله عز وجل محمدا ﷺ بدين واحد وأراك تتنقل من دين إلىٰ دين» قال عمر بن عبد العزيز: «من جعل دينه عرضة للخصومات أكثر التنقل»(٢).

وسيأتي مزيد نماذج وصور للثبات في الفقرة التالية.

(١) الإبانة الكبرىٰ لابن بطة (١/ ١٩٠) جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٩٣٣) الحجة في بيان المحجة (١/ ٣٢٩).

(٢) الموطأ ـ رواية محمد بن الحسن ـ (٣/ ٤٠٢)، وسنن الدارمي (١/ ١٠٢)، وشرح السنة ٥١٦ (١/ ٢١٧).

الوسيلة العاشرة

تدبر قصص الأنبياء والمصلحين

تدبر قصص الأنبياء والمصلحين وثباتهم مع تنوع صنوف الفتنة والابتلاءات التي واجهتهم، ولذلك قصها الله تعالىٰ علىٰ نبيه ﷺ لتثبيته والتأسي بهم في ذلك، وأمته ﷺ تبع له، قال تعالىٰ: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [هود: ١٢٠] قال ابن جريج: «أي لتعلم يا محمد ما لقيت الرسل من قبلك من أممهم»(١).

وتأمُّل ما قصه الله تعالىٰ لنا من قصة نوح وإبراهيم وشعيب وموسىٰ وعيسىٰ ومحمد -عليهم الصلاة والسلام- مع أقوامهم وثباتهم علىٰ دينهم رغم المخاطر والتهديدات أو المغريات يزرع في قلب المؤمن الثبات علىٰ دينه مهما تلونت الفتن والابتلاءات بالشر والخير والله المستعان.

---

(١) انظر جامع البيان (تفسير الطبري) - (١٥ / ٥٣٩).

وقد سار علىٰ ذلك حواريو الأنبياء وأصحابهم رضوان الله تعالىٰ عليهم، ولذا قصّ الله سبحانه وتعالىٰ لنا في القرآن الكريم بعض صور ثبات صحابة رسول الله ﷺ ممتدحا ثباتهم علىٰ دينهم، مع عظم التهديدات(١) فقال الله عنهم حين ندبهم النبي صلىٰ الله عليه وسلم في طلب المشركين حتىٰ بلغوا قريبا من حمراء الأسد وكان فيمن طلبهم يومئذ عبد الله بن مسعود: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣] وذلك لأن أبا سفيان قال لقوم: إن لقيتم أصحاب محمد فأخبروهم أنا قد جمعنا لهم(٢).

وقال تعالىٰ: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٣] فامتدح ثباتهم وعدم تبديلهم، قال قتادة رحمه الله: ما شكوا

(١) تقدمت الإشارة إلىٰ ذلك في: تحقيق التوحيد وصفاؤه وقوة التعلق بالله تعالىٰ.

(٢) انظر تفسير الطبري (١٩/ ٦٧).

ولا ترددوا في دينهم ولا استبدلوا به غيره(١).

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٢] أَيْ: صَبْرًا عَلَىٰ الْبَلاَءِ، وَتَسْلِيمًا لِلْقَضَاءِ، وَتَصْدِيقًا بِتَحْقِيقِ مَا كَانَ اللهُ وَعَدَهُمْ وَرَسُولُهُ(٢).

وقال تعالىٰ عن سحرة فرعون بعد التهديد والوعيد الشديدين: ﴿قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ﴾ [طه: ٧٢].

ومن الأمثلة التي ذكرها الله تعالىٰ في القرآن قصة أصحاب الأخدود، وثباتهم علىٰ دينهم، قال تعالىٰ: ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ [البروج: ٤-٨].

---

(١) تفسير الطبري (١٩ / ٦٠)

(٢) المصدر نفسه.

قال ابن كثير: هذا خبر عن قوم من الكفار عَمَدوا إلىٰ من عندهم من المؤمنين بالله، عز وجل، فقهروهم وأرادوهم أن يرجعوا عن دينهم، فأبوا عليهم، فحفروا لهم في الأرض أخدُودًا وأججوا فيه نارا، وأعدوا لها وقودًا يسعرونها به، ثم أرادوهم فلم يقبلوا منهم، فقذفوهم فيها»(١).

ومن أمثلة الثبات في هذه الأمة بعد صحابة رسول الله ﷺ ما ذكر المؤرخون من سيرة الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ الذي دخل المحنة وخرج منها ذهبا نقيا ثابتا لم يتزعزع حتىٰ نصر الله تعالىٰ بثباته السنة وأهلها حتىٰ قال علي بن المديني رَحِمَهُ اللَّهُ: «أعز الله هذا الدين برجلين ليس لهما ثالث أبو بكر الصديق يوم الردة وأحمد بن حنبل يوم المحنة»(٢). فقد سيق إلىٰ المأمون مقيدا بالأغلال، وقد توعده وعيدا شديدا قبل أن يصل إليه، حتىٰ لقد قال خادم لأحمد: «يعز علي يا أبا عبد الله، إن المأمون قد سلّ سيفًا لم يسله قبل ذلك، وإنه

(١) تفسير ابن كثير / (٨ / ٣٦٦).
(٢) تاريخ بغداد (٤/ ٤١٨).

يقسم بقرابته[١] من رسول الله ﷺ لئن لم تجبه إلىٰ القول بخلق القرآن، ليقتلنك بذلك السيف»[٢].

وهنا ينتهز الأذكياء من أهل البصيرة الفرصة ليلقوا إلىٰ إمامهم بكلمات التثبيت، ففي السير للذهبي عن أبي جعفر الأنباري قال «لَمَّا حُمِلَ أَحْمَدُ إِلَىٰ المَأْمُوْنِ، أُخبرتُ، فَعَبَرْتُ الفُرَاتَ، فَإِذَا هُوَ جَالِسٌ فِي الخَانِ، فَسَلَّمتُ عَلَيْهِ، فَقَالَ: يَا أَبَا جَعْفَرٍ، تَعَنَّيْتَ. فَقُلْتُ: يَا هَذَا، أَنْتَ اليَوْمَ رَأسٌ، وَالنَّاسُ يَقتدُوْنَ بِكَ، فَوَ اللهِ لَئِنْ أَجبتَ إِلَىٰ خَلقِ القُرْآنِ، لَيُجِيْبَنَّ خَلقٌ، وَإِنْ أَنْتَ لَمْ تُجِبْ، لَيَمْتَنِعَنَّ خَلْقٌ مِنَ النَّاسِ كَثِيْرٌ، وَمَعَ هَذَا فَإِنَّ الرَّجُلَ إِنْ لَمْ يَقْتُلْكَ فَإِنَّك تَمُوتُ، لاَبُدَّ مِنَ المَوْتِ، فَاتَّقِ اللهَ وَلاَ تُجِبْ.فَجَعَلَ أَحْمَدُ يَبْكِي، وَيَقُوْلُ: مَا شَاءَ اللهُ. ثُمَّ قَالَ: يَا أَبَا جَعْفَرٍ، أَعِدْ عَلَيَّ.فَأَعَدْتُ عَلَيْهِ، وَهُوَ يَقُوْلُ: مَا شَاءَ اللهُ» اهـ[٣].

---

(١) هذا ـ إن ثبت ـ فمن جهله بالله تعالىٰ وبدينه، فيقسم بغير الله مهددا أولياء الله للقول بغير ما أنزل الله، والطعن في كلام الله.

(٢) انظر البداية والنهاية (ذكر ضربه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بين يدي المعتصم (١٠/ ٣٦٦).

(٣) سير أعلام النبلاء (١١/ ٢٣٩).

وقال الإمام في سياق رحلته إلىٰ المأمون: «صرنا إلىٰ الرحبة منها في جوف الليل فعرض لنا رجل فقال: أيكم أحمد بن حنبل؟ فقيل له: هذا، فقال للجمال: علىٰ رسلك.. ثم قال: «يا هذا ما عليك أن تقتل ها هنا وتدخل الجنة» ثم قال «أستودعك الله» ومضىٰ. فسألت عنه فقيل لي: هذا رجل من العرب من ربيعة، يعمل الصوف في البادية، يقال له: جابر بن عامر يذكر بخير»(١).

وفي البداية والنهاية أن أعرابيا قال لأحمد: «يا هذا إنك وافد الناس فلا تكن شؤما عليهم، وإنك رأس الناس اليوم فإياك أن تجيبهم إلىٰ ما يدعونك إليه فيجيبوا وتحمل أوزارهم يوم القيامة، وإن كنت تحب الله فاصبر علىٰ ما أنت عليه، فإنه ما بينك وبين الجنة إلا أن تقتل» قال الإمام أحمد «وكان كلامه مما قوىٰ عزمي علىٰ ما أنا فيه من الامتناع عن ذلك الذي يدعونني إليه»(٢).

---

(١) تاريخ الإسلام للذهبي (١٨/ ٩٨).

(٢) البداية والنهاية(١٠/ ٣٦٦).

وفي رواية أن الإمام أحمد قال «ما سمعت كلمة منذ وقعت في هذا الأمر أقوىٰ من كلمة الأعرابي كلمني بها في رحبة طوق، وهي بلدة بين الرقة وبغداد علىٰ شاطئ الفرات قال: يا أحمد إن يقتلك الحق متّ شهيدا، وإن عشت عشت حميدا.. فقوي قلبي»(١).

ويقول الإمام أحمد عن مرافقه الشاب محمد بن نوح الذي صمد معه في الفتنة: «ما رأيت أحدًا ـ علىٰ حداثة سنه وقدر علمه ـ أقوم بأمر الله من محمد بن نوح، إني لأرجو أن يكون قد ختم له بخير، قال لي ذات يوم «يا أبا عبد الله، الله الله، فإنك لست مثلي، أنت رجل يقتدىٰ بك، قد مدّ الخلق أعناقهم إليك، لما يكون منك، فاتق الله واثبت لأمر الله، فمات وصليت عليه ودفنته»(٢).

وحتىٰ أهل السجن الذين يصلي بهم الإمام أحمد وهو مقيّد، قد ساهموا في تثبيته رحمهم الله.

---

(١) سير أعلام النبلاء(٢١/ ٢٨٦).

(٢) تاريخ الإسلام للإمام الذهبي (١٨/ ٩٨).

فقد قال مرة في السجن «لست أبالي بالحبس ـ ما هو ومنزلي إلا واحد ـ ولا قتل بالسيف وإنما أخاف فتنة السوط» فسمعه بعض أهل الحبس فقال: «لا عليك يا أبا عبد الله، فما هو إلا سوطان ثم لا تدري أين يقع الباقي» فكأنه سري عنه(١).

وسيأتي لاحقًا ذكر مثال حي آخر لثبات أحد علماء هذه الأمة المغمورين، ومناظرته الباطل، ورد شبه أهله ودحضها بما يُعد أنموذجا في الرد علىٰ كل مبتدع يريد الإحداث في دين الله تعالىٰ، وهي مناظرة الأذرمي لابن أبي دؤاد في مسألة خلق القرآن.

فلا شك أن تأمل مثل هذه الأحداث مهم في الثبات علىٰ الحق مهما تعددت وتنوعت الشبهات وعوامل الاضطراب والتراجع عن المبادئ الحقة.

(١) سير أعلام النبلاء ٢١/ ٢٨٥

الوسيلة الحادية عشرة

مجالسة العلماء والصالحين الناصحين

وهم تلك الفئة التي حثّ الله تعالىٰ علىٰ مصاحبتها والتفيؤ بظلالها، قال تعالىٰ: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا﴾ [الكهف: ٢٨].

وقال ﷺ: «**إن من الناس ناسا مفاتيح للخير مغاليق للشر**»(١). وفي الأثر: «إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم»(٢). ولكن ليس كل من تصدر وتزيىٰ بزي

(١) رواه ابن ماجه- بَابُ مَنْ كَانَ مِفْتَاحًا لِلْخَيْرِ ٢٣٧ (١/ ٨٦) وقال الشيخ الألباني: (حسن) انظر حديث رقم: ٢٢٢٣ في صحيح الجامع.

(٢) أخرجه مسلم في المقدمة ح (٢٦) عن ابن سيرين، وروي مرفوعا ـ ولا يصح ـ عن أبي هريرة عند السجزي والديلمي والحاكم، وعن أنس عند ابن عدي والحاكم. ينظر: فيض القدير (٢/ ٦٤٦) وكنز العمال (١٠/ ٢٤٠).

العلماء يكون محلا للقدوة والاستفتاء.

وأول دركات الانفلات كره العلماء والصالحين والمصلحين، والبعد عنهم واتهامهم بالتقصير وتحقيرهم، فهذه أول الخطوات الشيطانية للحيدة عن الصراط المستقيم، إما إلىٰ الغلو والإفراط أو إلىٰ الجفاء والتفريط، وكلا طرفي قصد الأمور ذميم، وحسبك في فضل حب الصالحين أنه سبب للّحاق بهم وإن لم يعمل عملهم، ففي الصحيحين قال عبد اللهِ بن مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، كَيْفَ تَقُولُ فِي رَجُلٍ أَحَبَّ قَوْمًا وَلَمْ يَلْحَقْ بِهِمْ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**المَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ**»(١) ونحوه عند مسلم عَنْ أَنَسِ بن مَالِكٍ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ مَتَىٰ السَّاعَةُ؟ قَالَ: «**وَمَا أَعْدَدْتَ لِلسَّاعَةِ؟**» قَالَ: حُبَّ اللهِ وَرَسُولِهِ، قَالَ: «**فَإِنَّكَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ**» قَالَ أَنَسٌ: فَمَا فَرِحْنَا، بَعْدَ الْإِسْلَامِ فَرَحًا أَشَدَّ مِنْ قَوْلِ

(١) أخرجه البخاري ـ كتاب الأدب ـ بَابُ عَلاَمَةِ حُبِّ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ٦١٦٩ (٨/ ٣٩) صحيح مسلم-كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ- بَابُ الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ ٢٦٤٠ (٤/ ٢٠٣٤).

النَّبِيِّ ﷺ: «فَإِنَّكَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ» قَالَ أَنَسٌ: فَأَنَا أُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ، وَأَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ مَعَهُمْ، وَإِنْ لَمْ أَعْمَلْ بِأَعْمَالِهِمْ(١).

قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «فِيهِ فَضْلُ حُبِّ اللهِ وَرَسُولِهِ ﷺ وَالصَّالِحِينَ وَأَهْلِ الْخَيْرِ الْأَحْيَاءِ وَالْأَمْوَاتِ، وَمِنْ فَضْلِ مَحَبَّةِ اللهِ وَرَسُولِهِ امْتِثَالُ أَمْرِهِمَا وَاجْتِنَابُ نَهْيِهِمَا وَالتَّأَدُّبُ بِالْآدَابِ الشَّرْعِيَّةِ، وَلَا يُشْتَرَطُ فِي الِانْتِفَاعِ بِمَحَبَّةِ الصَّالِحِينَ أَنْ يَعْمَلَ عَمَلَهُمْ إِذْ لَوْ عَمِلَهُ لَكَانَ مِنْهُمْ وَمِثْلَهُمْ»(٢).

فالرجوع إلىٰ العلماء والمصلحين والالتفاف حولهم، والاستماع إلىٰ توجيهاتهم مُعين كبير علىٰ الثبات.

وتقدمت بعض النماذج فيما ذكر من محنة الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ، وتثبيت بعض الصالحين وعامة الناس له علىٰ الحق والثبات عليه، وتحمل في سبيل ذلك ما قد يلقاه من محن

(١) صحيح مسلم ـ كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ ـ بَابُ الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ ٢٦٣٩ (٤/ ٢٠٣٢).

(٢) شرح النووي علىٰ مسلم (١٦/ ١٨٦).

وابتلاءات.

وفي مقابل ذلك، خطورة أهل الأهواء والمضلين كما في الفقرة التالية.

الوسيلة الثانية عشرة

مجانبة أهل الأهواء والضالين والمضلين وترك مجالستهم

واستماع ومتابعة قنواتهم وصحفهم ومواقعهم الالكترونية، وأخذ العبرة من مآلات المنتكسين، والمعيشة الضنك والقلق النفسي الذي يلاقونه، فهم أكثر الناس تنقلا وتقلبا بسبب اضطرابهم الفكري، واعتمادهم الأهواء والآراء التي لا تنضبط، ومن هنا يتضح خطورة التخليط في مصادر التلقي، وضرورة توحيد المصدر وهو الوحي المعصوم، والاعتصام به، وهذا ما وجه الله به نبيه ﷺ في قوله تعالىٰ: ﴿فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الزُّخرُف: ٤٣] وقوله تعالىٰ: ﴿وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢] وقال جلّ اسمه: ﴿وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ [يونس: ١٠٩].

وقد امتن الله علىٰ نبيّه ﷺ أن حفظه من الركون إلىٰ هؤلاء الضالين المضلين بعد قوله تعالىٰ: ﴿وَإِن كَادُوا۟

لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ لِتَفۡتَرِيَ عَلَيۡنَا غَيۡرَهُۥۖ وَإِذٗا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلٗا ﴾ [الإسراء: ٧٣] فقال تعالىٰ: ﴿وَلَوۡلَآ أَن ثَبَّتۡنَٰكَ لَقَدۡ كِدتَّ تَرۡكَنُ إِلَيۡهِمۡ شَيۡـٔٗا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٤] ولذا حذره تعالىٰ من اتّباع أهوائهم فقال تعالىٰ: ﴿وَأَنِ ٱحۡكُم بَّيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعۡضِ ذُنُوبِهِمۡۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٩] وذلك بعد أن بين الله تعالىٰ له ﷺ وللمؤمنين من بعده بالتبع الموقف من هؤلاء الملبّسين المصدّرين للشبهات في زخرف القول الذي يغترُّ به البسطاء من الناس، قال تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيّٖ عَدُوّٗا شَيَٰطِينَ ٱلۡإِنسِ وَٱلۡجِنِّ يُوحِي بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ زُخۡرُفَ ٱلۡقَوۡلِ غُرُورٗاۚ وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُۖ فَذَرۡهُمۡ وَمَا يَفۡتَرُونَ﴾ [الأنعام: ١١٢].

وعن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهَا قالت: تلا رسول الله ﷺ قوله تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [آل

عمران: ٧] فقالت: قال رسول الله ﷺ: «فإذا رأيتم الذين يجادلون فيه فهم الذين عنىٰ الله فاحذروهم»(١).

ولذا قال عمر بن عبد العزيز «من جعل دينه عرضة للخصومات أكثر التنقل»(٢). وقال الحسن البصري لرجل دعاه إلىٰ المجادلة: «أما أنا فقد أبصرت ديني فإن كنت أضللت دينك فالتمسه»(٣). وقال مالك «مهما جاء رجل أجدل من رجل تركنا ما نزل به جبريل علىٰ محمد ﷺ لجدله!»(٤).

ولذلك نرىٰ أن أكثر الناس تنقلا هم أهل الأهواء بخلاف أهل السنة الذين عرفوا الحق فثبتوا عليه.

وقال ابن تيمية عن أهل الكلام: «لو اعتصموا بالكتاب والسنة لاتفقوا كما اتفق أهل السنة والحديث فإن أئمة السنة

---

(١) أخرجه وأحمد في المسند ٢٤٢١٠ (٤٠/ ٢٥٥) وأبو داود- كتاب السنة- بَابُ النَّهْيِ عَنِ الجِدَالِ وَاتِّبَاعِ الْمُتَشَابِهِ مِنَ الْقُرْآنِ ٤٥٩٨(٤/ ١٩٨) وصححه الألباني.

(٢) الموطأ - (٣/ ٤٠٢). الإبانة الكبرىٰ لابن بطة (٢/ ٥٠٣).

(٣) الإبانة الكبرىٰ لابن بطة ٥٨٦ (٢/ ٥٠٩).

(٤) الإبانة الكبرىٰ لابن بطة (٢/ ٥٠٧).

والحديث لم يختلفوا في شيء من أصول دينهم»[١].

ويقول ابن القيم معبرا عن انتفاعه بشيخه ابن تيمية رحمهما الله: «ما أعلم أني انتفعت بوصية في دفع الشبهات كانتفاعي بوصية شيخي عندما قال لي: «لا تجعل قلبك للإيرادات والشبهات مثل الأسفنجة، يشربها فلا ينضح إلا بها، ولكن اجعله كالزجاجة المصمتة، تمر الشبهات بظاهرها ولا تستقر فيها فيراها بصفائه ويدفعها بصلابته»[٢].

وقال ابن بطة معلقا علىٰ قوله ﷺ: «**من سمع منكم بخروج الدجال فلينأ عنه ما استطاع فإن الرجل يأتيه وهو يحسب أنه مؤمن فما يزال به حتىٰ يتبعه لما يرىٰ من الشبهات**»[٣] قال: «فالله الله معشر المسلمين لا يحملن أحدكم حسن ظنه بنفسه، وما عهده من معرفة صحة مذهبه علىٰ المخاطرة بدينه في مجالسة بعض أهل الأهواء فيقول:

---

(١) درء تعارض العقل والنقل (٥/ ٣٦٣).

(٢) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة - (١ / ١٤٠)

(٣) رواه أبو داود- كتاب الملاحم- بَابُ خُرُوجِ الدَّجَّالِ ٤٣١٩(٤/ ١١٦) وصححه الألباني.

أداخله لأناظره ولأستخرج منه مذهبه، فإنهم أشد فتنة من الدجل وكلامهم ألصق من الجرب، وأحرق للقلوب من اللهب، وقد رأيت جماعة من الناس كانوا يلعنونهم ويسبونهم فجالسوهم علىٰ سبيل الإنكار والرد عليهم، فما زالت بهم المباسطة وخفيّ المكر ودقيق الكفر حتىٰ صَبَوْا إليهم»(١)

وقال رحمه الله: «اعلموا ـ إخواني ـ أني فكرت في السبب الذي أخرج أقواما من السنة والجماعة، واضطرهم إلىٰ البدعة والشناعة ، وفتح باب البلية علىٰ أفئدتهم ، وحجب نور الحق عن بصيرتهم ، فوجدت ذلك من وجهين:

أحدهما: البحث والتنقير، وكثرة السؤال عما لا يعني، ولا يضر المسلم جهله، ولا ينفع المؤمن فهمه.

والآخر: مجالسة من لا تؤمن فتنته ، وتفسد القلوب صحبته»(٢).

وفي هذا الباب يذكرون جمعا من الذين جالسوا أهل

(١) (الإبانة لابن بطة(٢/ ٤٧٠).

(٢) الإبانة الكبرىٰ لابن بطة (١/ ٣٩٠).

البدع فتأثروا بهم، فهذا عمران بن حطان كان عالما عابدا قد أوصىٰ به عمر خيرا، وقال: «آثرتك به علىٰ نفسي» صار خارجيا من أشقىٰ خلق الله بعد أن نكح خارجية لأجل أن يصرفها عن مذهبها فاستحوذت عليه وغلبته حتىٰ فرح بمقتل الخليفة أمير المؤمنين علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ومدح قاتله بالأبيات الشهيرة: (١)

يا ضربة من تقي ما أراد بها إلا ليبلغ من ذي العرش رضوانًا
إني لأذكره يومًا فأحسبه أوفىٰ البرية عند الله ميزانًا

وهذا ابن الراوندي كان أول أمره -كما قيل- حسن السيرة كثير الحياء، ثم بدأ يلازم المبتدعة والملاحدة وأهل الأهواء، فإذا لامه أحد أو عاتبه قال: إنما أريد أن أعرف أقوالهم، وفي النهاية صار واحدا منهم بل صار أجرأ علىٰ حرمات الله منهم حتىٰ ألف كتابا سماه «الدافع» ليدفع به القرآن فدفعه الله وبقي كتاب الله ينطق بمصير أمثاله(٢).

(١) انظر: الاعتصام ـ للشاطبىٰ (٢ / ٢٣٨)
(٢) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٥٩)

وكان أبو معشر البلخي من أهل الحديث فمُكِر به ثم انتكس وصار منجما[١].

ويقول القاضي أبو بكر عن الغزالي: «والغزالي دخل في بطن الفلسفة ثم لم يستطع أن يخرج منها»[٢]. وقال: «الغزالي أمرضه الشفاء»[٣] يعني كتاب الشفاء لابن سيناء.

وكان ابن عقيل يضيق ذرعا بأصحابه الحنابلة لأنهم كانوا يحذرونه من مجالسة المعتزلة فيقول: «وكان أصحابنا الحنابلة يريدون مني هجران جماعة من العلماء، وكان ذلك يحرمني علما نافعا» ا.هـ. وقد علق عليه الذهبي بقوله: كانوا ينهونه عن مجالسة المعتزلة ويأبىٰ حتىٰ وقع في حبائلهم، وتجسر علىٰ تأويل النصوص. نسأل الله السلامة[٤]. وقد ذكر أنه رجع بعد ذلك ولله الحمد[٥].

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٣/ ١٦١).

(٢) درء تعارض العقل والنقل(١ / ٥).

(٣) الرد علىٰ المنطقيين (١ / ٥١٠).

(٤) سير أعلام النبلاء (١٩/ ٤٤٧).

(٥) حكىٰ ذلك عنه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله. ينظر: مجموع

وجاء في ترجمة شيث بن ربعي أنه:

- كان مؤذنًا لسجاح مؤمنًا بنبوتها ثم تاب.
- فكان من الذين خرجوا علىٰ عثمان وقتله ثم تاب.
- وأصبح من الذين يقاتلون عليًا مطالبين بدم عثمان ثم تاب.
- ثم أصبح مع علي.
- ثم خرج عليه من الخوارج ثم رجع.
- وكان في الجيش الذي قاتل الحسين، فقتلوا الحسين.
- ثم خرج مع الذين يطالبون بدمه.
- وأصبح من أتباع المختار بن أبي عبيد الثقفي ثم تراجع وتاب، وأصبح من الذين يقاتلون أبي عبيد الثقفي[1].

فالواجب الحذر من مواقع الشبه ولو كان بدعوىٰ الرد

=

الفتاوىٰ (٤/ ١٦٤).

(١) يراجع: الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٤/ ٣٨٨)، والمؤتلف والمختلف للدارقطني (٣/ ١٤١٢)، وإكمال تهذيب الكمال (٦/ ٢٠٤).

علىٰ الفرق والمذاهب إلا لعالم متبحر، فالاطلاع والنظر لمن لم يكن أهلا له فتنة عظيمة، فالقلب يتشرب الشبهة شيئا فشيئا حتىٰ لا تخرج منه، ولذلك يقول حذيفة: «إياك والفتن، لا يشخص لها أحد، فو الله ما شخص منها أحد إلا نسفته كما ينسف السيل الدمن»(١).

وقال سفيان الثوري رَحِمَهُ اللَّهُ: «من يسمع بِبِدْعَةٍ فَلاَ يَحْكِهَا لِجُلَسَائِهِ لاَ يُلقِهَا فِي قُلُوْبِهِم» قال الذهبي معلقا: «قُلْتُ: أَكْثَرُ أَئِمَّةِ السَّلَفِ عَلَىٰ هَذَا التَّحذِيرِ يَرَوْنَ أَنَّ القُلُوْبَ ضَعِيْفَةٌ، وَالشُّبَهُ خَطَّافَةٌ»(٢).

فليتنبّه بعض الغيورين الذين يتعمدون نشر بعض البدع والشهوات في مواقع التواصل إنكارا لها ولا يعلمون ماذا تُحْدِث في قلوب بعض المتلقين، والله المستعان.

يقول ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومن شأن الجسد إذا كان جائعا فأخذ من طعامه حاجته، استغنىٰ عن طعام آخر حتىٰ لايأكله

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ٨٣٨٥ (٤/ ٤٩٥) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.
(٢) سير أعلام النبلاء (٦/ ٦٤١).

ـ إن أكل منه ـ إلا بكراهة وتجشم، وربما ضره أكله أو لم ينتفع به ولم يكن هو المغذي له الذي يقيم بدنه.. فالعبد إذا أخذ من غير الأعمال المشروعة بعض حاجته قلت رغبته في المشروع وانتفاعه به بقدر ما اعتاض من غيره بخلاف من صرف نهمته وهمته للمشروع فإنه تعظم محبته له ومنفعته به ويتم دينه ويكمل إسلامه ولذا تجد من أكثر من سماع القصائد لطلب صلاح قلبه تنقص رغبته في سماع القرآن حتىٰ ربما كرهه ـ عياذا بالله ـ ومن أكثر من السفر إلىٰ زيارات المشاهد ونحوها لا يبقىٰ لحج البيت الحرام في قلبه من المحبة والتعظيم ما يكون في قلب من وسعته السنة، ومن أدمن علىٰ أخذ الحكمة والآداب من كلام حكماء فارس والروم، لا يبقىٰ لحكمة الإسلام وآدابه في قلبه ذلك الموقع، ومن أدمن قصص الملوك وسيرهم لا يبقىٰ لقصص الأنبياء وسيرهم في قلبه ذاك الاهتمام» اهـ[1].

وفي هذا المعنىٰ يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «والقصد أن كل من أعرض عن شيء من الحق وجحده، وقع في باطل مقابل

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٥٤٣).

لما أعرض عنه من الحق وجحده ولا بد، حتىٰ في الأعمال من رغب عن العمل لوجه الله وحده ابتلاه الله بالعمل لوجوه الخلق، فرغب عن العمل لمن ضره ونفعه وموته وحياته وسعادته بيده، فابتلي بالعمل لمن لا يملك له شيئا من ذلك، وكذلك من رغب عن إنفاق ماله في طاعة الله ابتلي بإنفاقه لغير الله وهو راغم، وكذلك من رغب عن التعب لله ابتلي بالتعب في خدمة الخلق ولا بد، وكذلك من رغب عن الهدي بالوحي، ابتلي بكناسة الآراء وزبالة الأذهان، ووسخ الأفكار، فليتأمل من يريد نصح نفسه وسعادتها وفلاحها هذا الموضع في نفسه وفي غيره»(١).

والمنتكس عن الحق بعد معرفته قلّما يرجع إليه، قال تعالىٰ: ﴿كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [آل عمران: ٨٦] ولشدة عناده قد يكون أكثر عداء للحق من المبطل الأصلي.

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (١/ ١٨٤).

الوسيلة الثالثة عشرة

معرفة حقيقة الباطل وعدم الاغترار به

لأن أهل الشبه يزخرفون بها القول لتحقيق باطلهم، قال تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الأنعام: ١١٢-١١٥] يعني لا تكن من الشاكين بأن القرآن جاء من الله، وقال الحسن: يقول: يا محمد، لا تكن في شك(١).

وقال تعالىٰ: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ

(١) انظر تفسير ابن أبي حاتم (٤/ ١٣٧٤).

﴿ٱلْعَنكَبُوتِ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤١].

وقال تعالىٰ: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ [آل عمران: ١٩٦-١٩٧] وقال تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ﴾ [الرعد: ١٧].

ومن طريقة القرآن فضح أهل الباطل وتعرية أهدافهم ووسائلهم حتىٰ لا يؤخذ المسلمون علىٰ غرة قال تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [الأنعام: ٥٥] ولذا فمن عرف الباطل كان أكثر تعظيما واستمساكا بالحق وأكثر تحذيرا وإنذارا من الباطل؛ لأنه قد ذاق مرارته، ويُذكر عن نعيم بن حماد أنه كان شديدا علىٰ الجهمية وأهل البدع؛ لأنه كان منهم(١)، فمن عرف الحق ثبت، ومن جاءته الفتن بلا علم اضطرب وتحير، قال حذيفة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «لا تضرك الفتنة ما عرفت دينك»(٢).

---

(١) سير أعلام النبلاء (٩/ ١٨).

(٢) تقدم توثيقه (ص٣٠).

ونذكر مثالا لهشاشة الباطل، وضعف حجته مهما انتشر واستقوىٰ بالسلطان أمام الحق الواضح المبين، وذلك ما ورد في مناظرة الأذرمي لابن أبي دؤاد في مسألة خلق القرآن، وهي تُعدُّ أنموذجا يحتذىٰ، وحجة قاطعة علىٰ كل داع إلىٰ بدعة، فقد روىٰ الإمام الآجري، رَحِمَهُ اللَّهُ، بسنده إلىٰ أبي الفضل، صالح بن علي بن يعقوب المنصور الهاشمي وكان من وجوه بني هاشم وأهل الجلالة والشأن منهم، قال: حضرت المهتدي بالله أمير المؤمنين[1]، وقد جلس ينظر في أمور المسلمين في دار العامة، فنظرت إلىٰ قصص الناس تقرأ عليه من أولها إلىٰ آخرها فيأمر بالتوقيع فيها وإنشاء الكتب لأصحابها، ويختم ويدفع إلىٰ صاحبه بين يديه، فسرني ذلك، وجعلت أنظر إليه، ففطن ونظر إلي، فغضضت عنه حتىٰ كان

(١) هو أبو عبد الله محمد بن هارون الواثق بن المعتصم بن الرشيد، بويع بالخلافة ولقب بالمهتدي في رجب (٢٥٥هـ) وكان دينا علىٰ منهاج الخلفاء الراشدين، قتله الأتراك سنة (٢٥٦هـ) وعمره أربعون سنة. انظر: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (١٢/ ٨٨) ونزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار (١/ ٢٦٠).

ذلك مني ومنه مرارا ثلاثا، إذا نظر غضضت، وإذا اشتغل نظرت.

فقال لي: يا صالح، فقلت: لبيك يا أمير المؤمنين، فقمت قائما، فقال: في نفسك منا شيء تحب أن تقوله؟ أو قال: تريد أن تقوله؟

فقلت: نعم، يا سيدي يا أمير المؤمنين.

قال لي: عُد إلىٰ موضعك، فعدت، وعاد في النظر، حتىٰ إذا قام قال للحاجب: لا يبرح صالح. فانصرف الناس ثم أذن لي، وقد أهمتني نفسي فدخلت فدعوت له.

فقال لي: اجلس، فجلست، فقال: يا صالح، تقول لي، ما دار في نفسك، أو أقول أنا: ما دار في نفسي أنه دار في نفسك؟.

قلت: يا أمير المؤمنين، ما تعزم عليه، وما تأمر به.

فقال: وأقول: كأني بك وقد استحسنت ما رأيت منا، فقلت: أي خليفة خليفتنا، إن لم يكن يقول: القرآن مخلوق؟.

فورد علىٰ قلبي أمر عظيم، وأهمتني نفسي، ثم قلت: يا نفس، هل تموتين إلا مرة؟ وهل تموتين قبل أجلك؟ وهل

يجوز الكذب في جد أو هزل؟

فقلت: والله يا أمير المؤمنين، وما دار في نفسي إلا ما قلت، ثم أطرق مليا، ثم قال لي: ويحك، اسمع مني ما أقول، فَوَ الله لتسمعن مني الحق، فسري عني فقلت: يا سيدي ومن أولىٰ بقول الحق منك، وأنت خليفة رب العالمين[١]، وابن عم سيد المرسلين، من الأولين والآخرين.

فقال لي: ما زلت أقول: إن القرآن مخلوق صدرا من خلافة الواثق[٢]، حتىٰ أقدم علينا أحمد بن أبي دؤاد[٣]

---

(١) وهذا جائز إذا كان من باب إضافة الشيء إلىٰ فاعله، بمعنىٰ أن الله استخلفه وجعله خليفة كما قال تعالىٰ: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ﴾ [ص: ٢٦]، لا بمعنىٰ أنه يخلف الله في عباده تعالىٰ الله، فالله شهيد رقيب لا يغيب سبحانه وتعالىٰ، وقد قال ﷺ في حديث الدجال: «والله خليفتي علىٰ كل مسلم» رواه مسلم ح: ٢٩٣٧، وللمزيد ينظر الشرح الممتع (١٥/ ٢٣٧).

(٢) أبوجعفر هارون بن محمد بن المعتصم، بويع بالخلافة بعد موت أبيه سنة (٢٢٧هـ) وكانت وفاته سنة (٢٣٢هـ) وعمره ست وثلاثون سنة. انظر: الجوهر الثمين للعلائي (ص ١١٥).

(٣) أحمد بن أبي دؤاد، ولي القضاء في عهد المعتصم والواثق، وهو الذي =

شيخا[١] من أهل الشام من أهل أذنة، فأدخل الشيخ علىٰ الواثق مقيدا، وهو جميل الوجه تام القامة، حسن الشيبة، فرأيت الواثق قد استحيىٰ منه، ورقّ له، فما زال يدنيه ويقربه، حتىٰ قرب منه، فسلم الشيخ فأحسن السلام، ودعا فأبلغ الدعاء، وأوجز.

فقال له الواثق: اجلس، ثم قال له: يا شيخ، ناظر ابن أبي دؤاد علىٰ ما يناظرك عليه فقال الشيخ: يا أمير المؤمنين، ابن أبي دؤاد يقلّ ويضيق، ويضعف عن المناظرة.

فغضب الواثق، وعاد مكان الرأفة له غضبا عليه، فقال: أبو عبد الله بن أبي دؤاد يضيق ويقل ويضعف عن مناظرتك أنت؟

=

كان يمتحن العلماء في أيامهما ويدعو إلىٰ القول بخلق القرآن، قال الذهبي: جهمي بغيض هلك سنة (٢٤٠هـ). تاريخ بغداد (٤/ ١٤١) ميزان الاعتدال (١/ ٩٧).

(١) هو أبو عبد الرحمن، عبد الله بن محمد بن إسحاق الأذرمي، أحد شيوخ أبي داود والنسائي من رواة الحديث الثقات. انظر: تاريخ بغداد (١٠/ ٧٤).

فقال له الشيخ: هوّن عليك يا أمير المؤمنين ما بك، وائذن لي في مناظرته.

فقال الواثق: ما دعوتك إلا للمناظرة.

فقال الشيخ: يا أحمد بن أبي دؤاد، إلىٰ ما دعوت الناس ودعوتني إليه؟ فقال: إلىٰ أن تقول: القرآن مخلوق ؛ لأن كل شيء دون الله مخلوق فقال الشيخ: إن رأيت يا أمير المؤمنين أن تحفظ علي وعليه ما نقول، قال: أفعل.

قال الشيخ: أخبرني يا أحمد عن مقالتك هذه، أواجبة داخلة في عقد الدين، فلا يكون الدين كاملا حتىٰ يقال فيه ما قلت؟ قال: نعم.

قال الشيخ: يا أحمد أخبرني عن رسول الله ﷺ حين بعثه الله تعالىٰ إلىٰ عباده، هل ستر رسول الله ﷺ شيئا مما أمر الله تعالىٰ به في دينه؟ قال: لا، قال الشيخ: فدعا رسول الله ﷺ الأمة إلىٰ مقالتك هذه؟ فسكت ابن أبي دؤاد فقال الشيخ: تكلم فسكت، فالتفت الشيخ إلىٰ الواثق، فقال: يا أمير المؤمنين، واحدة، فقال الواثق: واحدة.

فقال الشيخ: يا أحمد، أخبرني عن الله تعالىٰ، حين أنزل القرآن علىٰ رسول الله ﷺ فقال: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

أكان الله تعالىٰ الصادق في إكمال دينه، أم أنت الصادق في نقصانه، فلا يكون الدين كاملا حتىٰ يقال فيه بمقالتك هذه؟ فسكت ابن أبي دؤاد فقال الشيخ: أجب يا أحمد، فلم يجبه، فقال الشيخ: يا أمير المؤمنين، اثنتان، فقال الواثق: اثنتان.

فقال الشيخ: يا أحمد أخبرني عن مقالتك هذه، أعلمها رسول الله ﷺ أم جهلها؟ قال ابن أبي دؤاد: علمها.

قال الشيخ: فدعا الناس إليها؟ فسكت ابن أبي دؤاد فقال الشيخ: يا أمير المؤمنين، ثلاث، فقال الواثق: ثلاث.

فقال الشيخ: يا أحمد، فاتسع لرسول الله ﷺ إذ علمها كما زعمت، ولم يطالب أمته بها؟ قال: نعم، قال الشيخ: واتسع لأبي بكر وعمر وعثمان وعلي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ؟ فقال ابن أبي دؤاد: نعم، فأعرض الشيخ عنه، وأقبل علىٰ الواثق، فقال:

يا أمير المؤمنين، قد قدمت لك القول أن أحمد يضيق ويقل ويضعف عن المناظرة يا أمير المؤمنين، إن لم يتسع لك الإمساك عن هذه المقالة، ما اتسع لرسول الله ﷺ ولأبي بكر وعمر وعثمان وعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فلا وسع الله علىٰ من لم يتسع له ما اتسع لهم من ذلك.

فقال الواثق: نعم إن لم يتسع لنا من الإمساك عن هذه المقالة ما اتسع لرسول الله ﷺ ولأبي بكر وعمر وعثمان وعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فلا وسع الله علينا، اقطعوا قيد الشيخ.

فلما قطع ضرب الشيخ بيده إلىٰ القيد ليأخذه فجاذبه الحداد عليه، فقال الواثق: دع الشيخ ليأخذه، فأخذه الشيخ فوضعه في كمه، فقال الواثق: لم جاذبت عليه؟ قال الشيخ: لأني نويت أن أتقدم إلىٰ من أوصي إليه إذا متّ أن يجعله بيني وبين كفني، حتىٰ أخاصم به هذا الظالم عند الله تعالىٰ يوم القيامة، فأقول: يا رب، سل عبدك هذا لم قيدني وروع أهلي وولدي وإخواني بلا حق أوجب ذلك علي؟ وبكىٰ الشيخ فبكىٰ الواثق وبكينا، ثم سأله الواثق أن يجعله في حلَّ وسعة مما ناله.

فقال الشيخ: والله يا أمير المؤمنين، لقد جعلتك في حّل وسعة من أول يوم، إكراما لرسول الله ﷺ، إذ كنت رجلا من أهله.

فقال الواثق: لي إليك حاجة فقال الشيخ: إن كانت ممكنة فعلت.

فقال الواثق: تقيم فينا فينتفع بك فتياننا، فقال الشيخ: يا أمير المؤمنين، إن ردك إياي إلىٰ الموضع الذي أخرجني منه هذا الظالم أنفع لك من مقامي عليك، ولأخبرك بما في ذلك: أصير إلىٰ أهلي وولدي وأكف دعاءهم عليك، فقد خلفتهم علىٰ ذلك.

فقال له الواثق: فتقبل منا صلة ما تستعين بها علىٰ دهرك فقال الشيخ: يا أمير المؤمنين لا تحل لي، أنا عنها غني، وذو مرة سوي، قال: فسل حاجتك قال: أو تقضيها يا أمير المؤمنين؟ قال: نعم قال: فخل سبيلي إلىٰ الثغر الساعة، وتأذن لي، قال: قد أذنت لك، فسلّم الشيخ وخرج.

قال صالح: قال المهتدي بالله رحمة الله عليه: فرجعت

عن هذه المقالة منذ ذلك اليوم، وأظن الواثق بالله كان رجع عنها من ذلك الوقت[١].

(١) الشريعة للآجري (١ / ٣٢١-٣٢٥)، وهذه القصة حكاها الخطيب في تاريخ بغداد (١٠/ ٧٥) وابن الجوزي في مناقب الإمام أحمد (ص ٣٥١) والسيوطي في تاريخ الخلفاء (ص ٣٤١-٣٤٢) وابن كثير في البداية والنهاية (١٠/ ٣٢١) وأشار إليها الحافظ في التهذيب (٦/ ٥).

الوسيلة الرابعة عشرة

استجماع الأخلاق المعينة على الثبات

ومنها:

١ -الصبر والتقوىٰ قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠] وقال تعالىٰ: ﴿فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ وَلَا يَسۡتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ [الروم: ٦٠].

فالصبر والتقوىٰ من أعظم أركان الثبات، قال تعالىٰ: ﴿إِن تَمۡسَسۡكُمۡ حَسَنَةٞ تَسُؤۡهُمۡ وَإِن تُصِبۡكُمۡ سَيِّئَةٞ يَفۡرَحُواْ بِهَاۖ وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـًٔاۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ﴾ [آل عمران: ١٢٠] وفي الحديث عند البخاري وغيره «**ما أعطي أحد عطاء خيرا وأوسع من الصبر**»(١).

---

(١) أخرجه البخاري ـ كتاب الزكاة ــ باب الاستعفافِ عن المسألةِ ١٤٦٧(٢ / ١٥١). وصحيح مسلم ـ كتاب الزكاة - باب فضل التعفف والصبر ٢٤٧١ (٣/ ١٠٢).

ويقول ﷺ لآل ياسر: «**صبرا يا آل ياسر فإن موعدكم الجنة**»(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وَكَثِيرٌ مِنْ النَّاسِ إذَا رَأَىٰ الْمُنْكَرَ أَوْ تَغَيَّرَ كَثِيرٌ مِنْ أَحْوَالِ الْإِسْلَامِ جَزِعَ وَكَلَّ وَنَاحَ كَمَا يَنُوحُ أَهْلُ الْمَصَائِبِ وَهُوَ مَنْهِيٌّ عَنْ هَذَا؛ بَلْ هُوَ مَأْمُورٌ بِالصَّبْرِ وَالتَّوَكُّلِ وَالثَّبَاتِ عَلَىٰ دِينِ الْإِسْلَامِ وَأَنْ يُؤْمِنَ بِاَللَّهِ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ وَأَنَّ الْعَاقِبَةَ لِلتَّقْوَىٰ. وَأَنَّ مَا يُصِيبُهُ فَهُوَ بِذُنُوبِهِ فَلْيَصْبِرْ إنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وَلْيَسْتَغْفِرْ لِذَنْبِهِ وَلْيُسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّهِ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ»(٢).

٢-الصدق مع الله فمن صدق الله صدقه الله. قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩]، بعد أن ذكر خبر الثلاثة الذين خُلِّفوا ونجاهم

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك - ٥٦٤٦ (٣/ ٤٣٢) وسكت عنه الذهبي، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير ٢٠٢٢٥ (١٨/ ٤٠) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: رجاله ثقات، وقال الألباني في فقه السيرة (ص ١٠٣): حسن صحيح.

(٢) مجموع الفتاوىٰ (١٨/ ٢٩٥).

بالصدق.

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾ [النساء: ٦٩].

وضابطه: استواء الظاهر والباطن، ويشمل ذلك الصدق في العبادة، والصدق في التدين والالتزام، والصدق في المعاملة،..إلخ. ولما ذكر للإمام أحمد الصدق والإخلاص قال: «بهذا ارتفع القوم»(١).

٣-التفاؤل وحسن الظن والثقة بنصر الله. قال تعالىٰ: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيّٖ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٞ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسۡتَكَانُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦].

وعند البخاري قال النبي ﷺ: «**والله ليتمّن هذا الأمر حتىٰ يسير الراكب من صنعاء إلىٰ حضرموت لا يخاف إلا**

(١) طبقات الحنابلة (١/ ١٤٧).

الله، أو الذئب علىٰ غنمه ولكنكم تستعجلون»[١].

وصاحب الصدق مع الله لا تضره الفتن، فالله يجعل لأوليائه عند ابتلائهم مخارج[٢].

٤ـ الحذر من داء العجب والغرور.. فأكثر ما يؤتىٰ المنتكسون من جهة عجبهم بأنفسهم وذكائهم وعلومهم واحتقارهم المألوف، وهذا ما يصدهم عن الثبات علىٰ الحق والانقياد له، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [غافر: ٥٦].

وتأمل معي قول الله تعالىٰ: ﴿سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلرُّشۡدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلۡغَيِّ يَتَّخِذُوهُ

(١) صحيح البخاري ـ كتاب المناقب ـ بابُ علاماتِ النبوَّة في الإسلام ٦٩٤٣ (٩ / ٢٦).

(٢) فتح الباري (٦/ ٤٨٣).

سَبِيلًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَـٰفِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٤٦]. فاجتمعت الآفتان؛ الكبر والغفلة فصرفهم ذلك عن الإيمان بالآيات واستبصار سبيل الرشد واتباعه فوقعوا في سبيل الغي واتبعوه وهم يحسبون أنهم مهتدون، قال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَـٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴾ [الصف: ٥].

وهذه آفة قد كثرت ـ وللأسف- في عصرنا الحاضر بما يسمىٰ (الغرور العقلي، والانتكاس الفكري) وهو ما وصفه النبي ﷺ في آخر الزمان بالهوىٰ المتبع، وإعجاب كل ذي رأي برأيه، فقد قال ﷺ ـ كما تقدم ـ: «**إذا رأيت شحا مطاعا وهوىٰ متبعا ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بخاصة نفسك ودع العوام**»(١).

وقال ابن تيمية رحمه الله: «قد يكون الرجل من أذكياء الناس وأحدّهم نظرا ويعميه عن أظهر الأشياء، وقد يكون من

(١) تقدم تخريجه (٦٣).

أبلد الناس وأضعفهم نظرا ويهديه لما اختلف فيه من الحق بإذنه فلا حول ولا قوة إلا بالله»(١).

ومن أكبر أسباب الانتكاس ـ والعياذ بالله ـ رد الحق بعد ما تبين، ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ﴾ [ق: ٥] أي: ملتبس ومختلط، وكل إنسان يرد الحق مرة فليعلم أنه سيبتلىٰ بالشك والريب في قبول الحق في المستقبل، كما قال بعض أهل العلم(٢).

ومرّ معنا قول ابن القيم رحمه الله: «وَالْقَصْدُ أَنَّ كُلَّ مَنْ أَعْرَضَ عَنْ شَيْءٍ مِنَ الْحَقِّ وَجَحَدَهُ، وَقَعَ فِي بَاطِلٍ مُقَابِلٍ لِمَا أَعْرَضَ عَنْهُ مِنَ الْحَقِّ وَجَحَدَهُ وَلَا بُدَّ.. إلىٰ آخر كلامه رحمه الله»(٣).

فما أكثر ما يؤتىٰ المرء من قبل اعتداده بنفسه وثقته بها، فاللهم لا تكلنا إلىٰ أنفسنا طرفة عين ولا أقل من ذلك.

---

(١) درء تعارض العقل والنقل (٤/ ٣٨٢).

(٢) ينظر: الصواعق المرسلة في الرد علىٰ الجهمية والمعطلة (٣/ ٨٤٤).

(٣) تقدم توثيقه في مدارج السالكين (ص١٠٨).

٥-التؤدة والتأنِّي وعدم الاستعجال، قال تعالىٰ: ﴿فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ وَلَا يَسۡتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ [الروم: ٦٠] وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [الأنفال: ٤٥] فلا بدّ للعاقل من التريث والتثبت والتأني والتبصر في عواقب الأمور عند نزول الفتن واضطراب الأمور، ريثما تنجلي غشاوتها وتتضح الرؤية للمستبصرين، كما قال ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا: «إنما مثلنا في هذه الفتنة كمثل قوم يسيرون علىٰ جادة يعرفونها، فبينما هم كذلك إذ غشيهم سحابة وظلمة؛ فأخذ بعضهم يمينًا وأخذ بعضهم شمالًا فأخطأ الطريق، وأقمنا حيث أدركنا ذلك حتىٰ جلا الله ذلك عنا؛ فأبصرنا طريقنا الأول فعرفناه فأخذنا فيه...»(١)، وقد رُوي: «إن الله يحب البصر النافذ عند ورود الشبهات، ويحب العقل الكامل عند ورود الشهوات»(٢).

---

(١) الطبقات الكبرىٰ (٤/ ٢٩)، وحلية الأولياء (١/ ٣٠٩- ٣١٠)، وسير أعلام النبلاء (٣/ ٢٣٧).

(٢) رواه البيهقي مرسلا. مجموع الفتاوىٰ (٧/ ٥٤٠) وينظر تفصيل هذه =

وأكثر الانتكاسات بسبب استعجال النتائج، فيبحثون عن البديل إذا تأخرت النتائج وطال الطريق؛ ولذا قال تعالىٰ لنبيه ﷺ: ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسۡتَعۡجِل لَّهُمۡۚ كَأَنَّهُمۡ يَوۡمَ يَرَوۡنَ مَا يُوعَدُونَ لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارِۭۚ بَلَٰغٞۚ فَهَلۡ يُهۡلَكُ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

❀❀❀❀❀❀

=

الفقرة في كتاب منهاج أهل السنة والجماعة في التعامل مع الفتن العامة، للباحث (ص١٢٢) فما بعدها.

الوسيلة الخامسة عشرة

الإلتفات إلى الآخرة وإرادتها وتأمل ما فيها

فالجنة بلاد الأفراح وسلوة الأحزان ومحط رحال المؤمنين، والنفس مفطورة علىٰ عدم التضحية والعمل والثبات إلا بمقابل يهوّن عليها الصعاب ويذلل لها ما في الطريق من عقبات ومشاقّ، فعلىٰ المؤمن أن يتدبر قوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ﴾ [القصص: ٦٠-٦١] وقوله تعالىٰ: ﴿فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الشورىٰ: ٣٦] ولذلك قال الله تعالىٰ: ﴿وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ﴾ [الأنعام: ١١٣].

ومفهوم الآية أن الإيمان باليوم الآخر يحقق مجانبة الإصغاء إلىٰ هذا الخداع والتزيين، فالمؤمنون بالآخرة قد استنارت بصائرهم فنظروا إلىٰ حقائق الأمور ولم يستهوهم

زخرف القول ولا معسول الكلام.

وعليه فإن أكبر أسباب الانتكاس والنكوص علىٰ العقب الاغترار بالدنيا وملذاتها، فلربما افتتن المرء بامرأة وضيئة أو بمال أو منصب أو شهرة وجاه إلىٰ ذي سلطان، وتلك هي الشهوة الخفية التي قلّ أن يسلم من غلوائها من زلّ قدمه في سبيلها.

ولذا فإن الاعتزاز بالإسلام ولزوم السنة يحقق منعة وسلامة من الوقوع في براثن الشبهات، لأن الشبهات لا تعلق إلا بالقلوب الضعيفة الإيمان، والنفوس المنهزمة قليلة البضاعة من العلم والعمل الصالح، فهي المحل القابل لتلك الشبهات والشكوك والاعتراضات.

أما إذا امتلأ القلب بالإيمان واليقين، وانشغل القلب والجوارح بالطاعات انتفىٰ عنه كل عيب وشك وسخط وهم وغم، فامتلأ محبة لله تعالىٰ وخوفا منه ورضا به، وامتلأ قلبه بتعظيم أمره ونهيه وخبره، فأغلق أبواب الشيطان، وسدَّ عليه منافذه والله المستعان.

الخاتمة

ونختم هذا الموضوع بجواب خبير مجرب، يجيب علىٰ سؤال يدور في أذهان الكثيرين وإن لم يتفوهوا به، فقد سئل ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: ما دواء من تحكم فيه الداء؟ وما الاحتيال في من تسلط عليه الخبال؟ وما العمل في من غلب عليه الكسل؟ وما الطريق وما الحيلة في من سطت عليه الحيرة؟ إن قصد التوجه إلىٰ الله منعه هواه... وإن أراد أن يشتغل لم يطاوعه الفشل؟

فأجاب: «دواؤه الالتجاء إلىٰ الله، ودوام التضرع إلىٰ الله سبحانه، والدعاء بأن يتعلم الأدعية المأثورة ويتوخىٰ الدعاء في مظان الإجابة مثل آخر الليل وأوقات الأذان والإقامة وفي سجوده وفي أدبار الصلوات، ويضم إلىٰ ذلك الاستغفار فإنه من استغفر الله ثم تاب عليه متعه متاعا حسنا إلىٰ أجل مسمىٰ، وليتخذ وردا من الأذكار طرفي النهار ووقت النوم، وليصبر علىٰ ما يعرض له من الموانع والصوارف، فإنه لا يلبث أن يؤيده الله بروح منه، ويكتب الإيمان في قلبه، وليحرص علىٰ إكمال الفرائض من الصلوات الخمس بباطنه

وظاهره فإنها عمود الدين، وليكن هجيراه: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم فإنه بها تحمل الأثقال وتكابد الأهوال وينال رفيع الأحوال، ولا يسأم من الدعاء والطلب فإن العبد مستجاب له ما لم يعجل فيقول: دعوت فلم يستجب لي، وليعلم أن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب وأن مع العسر يسرا، ولم ينل أحد من جسيم الخير ـ نبي فمن دونه ـ إلا بالصبر، والحمد لله رب العالمين»[1].

هذا ما تيسر جمعه في هذا الموضوع المهم، فاللهم إنا نسألك إيمانا لا يرتد، ويقينا صادقا لا ينفد، ونسألك الثبات في الأمر، والعزيمة علىٰ الرشد ونسألك شكر نعمتك وحسن عبادتك ونعوذ بك من زوال نعمتك وتحول عافيتك، وفجاءة نقمتك، وجميع سخطك، ونسألك لسانا صادقا وقلبا سليما، ونعوذ بك من شر ما تعلم، ونسألك من خير ما تعلم ونستغفرك مما تعلم، إنك أنت علام الغيوب، وصل اللهم علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان يوم الدين.

---

(١) مختصر الفتاوي المصرية (١/ ٦٥١).

فهرس المصادر والمراجع

١- الإبانة الكبرىٰ لابن بطة، تحقيق: مجموعة من الباحثين، الناشر: دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض

٢- الإسلام والعقل، عبد الحليم محمود.

٣- أضواء البيان، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت ـ لبنان، عام النشر: ١٤١٥ هـ.

٤- الاعتصام للشاطبي، تحقيق ودراسة: مجموعة من الباحثين، الناشر: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، الطبعةالأولىٰ، ١٤٢٩ هـ.

٥- إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، لابن القيم الجوزية، تحقيق: محمد حامد الفقي، الناشر: دار المعرفة ــ بيروت الطبعة الثانية، ١٣٩٥ – ١٩٧٥م.

٦- اقتضاء الصراط المستقيم، لابن تيمية، تحقيق: د. ناصر عبد الكريم العقل، الناشر: مكتبة الرشد ـ الرياض.

٧- بدائع الفوائد، لابن القيم، تحقيق: علي العمران، دار عالم الفوائد، مكة، الطبعة الأولىٰ١٤٢٥هـ.

٨- البداية والنهاية، المحقق: علي شيري، الناشر: دار إحياء التراث العربي، الطبعة: الأولىٰ ١٤٠٨، هـ - ١٩٨٨م.
٩- تاج العروس من جواهر القاموس الزَّبيدي، الناشر: دار الفكر ـ بيروت الطبعة: الأولىٰ، ١٤١٤ هـ.
١٠- تاريخ الإسلام للذهبي، المحقق: الدكتور بشار عوّاد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي الطبعة: الأولىٰ، ٢٠٠٣م.
١١- تاريخ الخلفاء، للسيوطي، المحقق: حمدي الدمرداش، الناشر: مكتبة نزار مصطفىٰ الباز، الطبعة الأولىٰ: ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.
١٢- تاريخ بغداد، للخطيب، المحقق: الدكتور بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي ــ بيروت، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.
١٣- تاريخ دمشق، المحقق: عمرو بن غرامة العمروي، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عام النشر: ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥م.

١٤- تفسير ابن أبي حاتم، المحقق: أسعد محمد الطيب، الناشر: مكتبة نزار مصطفىٰ الباز.

١٥- تفسير ابن كثير، تحقيق مجموعة من المحققين، دار السلام للنشر والتوزيع- الرياض.

١٦- تفسير السعدي، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة-الطبعة: الأولىٰ ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

١٧- تفسير القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية ـ الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ- ١٩٦٤م.

١٨- التمهيد، للقرطبي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولىٰ.

١٩- تهذيب التهذيب، لابن حجر، الناشر: مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند-الطبعة الأولىٰ، ١٣٢٦هـ.

٢٠- الثبات علىٰ دين الله وأثره في الأمة، د. الأمين الصادق، الناشر: دار ابن الجوزي١٤٢٥ه.

٢١- جامع الرسائل، لابن تيمية، المحقق: د. محمد رشاد سالم، الناشر: دار العطاء ــ الرياض-الطبعة الأولىٰ ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

٢٢- جامع العلوم والحكم، لابن رجب، المحقق: شعيب الأرناؤوط - إبراهيم باجس، الناشر: مؤسسة الرسالة ــ بيروت الطبعة السابعة، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

٢٣- جامع بيان العلم وفضله، ابن عبد البر، الناشر: دار الكتب العلمية: ١٣٩٨ه.

٢٤- جلاء الأفهام، لابن القيم، المحقق: شعيب الأرناؤوط - عبد القادر الأرناؤوط، الناشر: دار العروبة ــ الكويت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٧ - ١٩٨٧م.

٢٥- الجوهر الثمين في سير الخلفاء والملوك والسلاطين للعلائي.

٢٦- حادي الأرواح، لابن القيم، الناشر: مطبعة المدني، القاهرة.

٢٧- الحجة في بيان المحجة، لقوام السنة الأصبهاني،

المحقق: محمد بن ربيع بن هادي عمير المدخلي، الناشر: دار الراية - السعودية، الرياض، الطبعة: الثانية، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

٢٨- حلية الأولياء للاصفهاني، الناشر: السعادة - بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.

٢٩- درء تعارض العقل والنقل، تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية-الطبعة: الثانية ١٤١١ هـ - ١٩٩١م.

٣٠- الدرر المنتشرة في الأحاديث المشتهرة، للسيوطي، تحقيق: الدكتور محمد بن لطفي الصباغ، الناشر: عمادة شؤون المكتبات - جامعة الملك سعود.

٣١- ذم الكلام وأهله، للهروي، تحقيق: عبد الرحمن عبد العزيز الشبل، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨م.

٣٢- الرد علىٰ المنطقيين، لابن تيمية، الناشر: دار المعرفة ـ بيروت.

٣٣- زاد المسير في علم التفسير، تحقيق: محمد بن عبد الرحمن عبد الله، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع- الطبعة الاولىٰ جمادىٰ الاولىٰ ١٤٠٧ هـ - كانون الثاني ١٩٨٧م.

٣٤- سلسلة الأحاديث الضعيفة، دار النشر: دار المعارف، الرياض، الطبعة: الأولىٰ، ١٤١٢ هـ، ١٩٩٢م.

٣٥- السلسلة الصحيحة، الألباني، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولىٰ.

٣٦- السنة، للخلال، المحقق: د. عطية الزهراني، الناشر: دار الراية ــ الرياض الطبعة: الأولىٰ، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م.

٣٧- سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية.

٣٨- سنن أبي داود، تحقيق وتعليق سعيد محمد اللحام، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

٣٩- سنن البيهقي، المحقق: محمد عبد القادر عطا، الناشر:

دار الكتب العلمية، بيروت -الطبعة الثالثة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣م.

٤٠- سنن الترمذي، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا ـ بيروت.

٤١- سنن الدارقطني، تحقيق: السيد عبد الله المدني، الناشر: دار المعرفة - بيروت، ١٣٨٦ - ١٩٦٦م.

٤٢- سنن الدارمي، تحقيق: فواز أحمد زمرلي ، خالد السبع العلمي، الناشر: دار الكتاب العربي ـ بيروت-الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٧ه.

٤٣- سنن النسائي، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، الناشر: مؤسسة الرسالة ـ بيروت، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١م.

٤٤- سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الارنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة.

٤٥- سيرة ابن إسحاق، المحقق: محمد حميد الله، الناشر: معهد الدراسات والأبحاث للتعريف -

٤٦- السيرة النبوية لابن هشام، المحقق: طه عبد الرءوف سعد، الناشر: دار الجيل ــ بيروت، الطبعة: الأولىٰ، ١٤١١ه.

٤٧- شرح أصول الاعتقاد شرح أصول اعتقاد أهل السنة، للالكائي، تحقيق: د. أحمد سعد، الناشر: دار طيبة - الرياض، ١٤٠٢ه.

٤٨- شرح السنة، للبغوي، الناشر: المكتب الإسلامي - دمشق ـ بيروت ـ الطبعة: الثانية ١٤٠٣هـ.

٤٩- شرح العقيدة الأصبهانية، لابن تيمية، المحقق: محمد بن رياض الأحمد، الناشر: المكتبة العصرية ــ بيروت، الطبعة: الأولىٰ - ١٤٢٥هـ.

٥٠- شرح النووي علىٰ مسلم، الناشر: دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢م.

٥١- الشريعة، للآجري، المحقق: أ.د.عبد الله الدميجي، الناشر: دار الوطن - الرياض، السعودية الطبعة: الثانية، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م.

٥٢- الصارم المسلول علىٰ شاتم الرسول، لابن تيمية، المحقق: محمد محي الدين عبد الحميد، الناشر: الحرس الوطني السعودي.
٥٣- صحيح ابن حبان، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م.
٥٤- صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة-الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢٢هـ.
٥٥- صحيح الجامع، الناشر: المكتب الإسلامي.
٥٦- صحيح مسلم، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث، العربي ـ بيروت.
٥٧- صحيح وضعيف الترمذي، للألباني، الشاملة.
٥٨- صحيح وضعيف سنن أبي داود، الشاملة.
٥٩- الصلاة وحكم تاركها، لابن القيم، تحقيق: بسام عبد الوهاب الجابي، الناشر: الجفان والجابي - دار

ابن حزم - قبرص ـ بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٦ - ١٩٩٦م.

٦٠- الصواعق المرسلة في الرد علىٰ الجهمية والمعطلة، لابن القيم، المحقق: علي بن محمد الدخيل الله، الناشر: دار العاصمة، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٠٨هـ.

٦١- طبقات الحنابلة، لأبي يعلىٰ، المحقق: محمد حامد الفقي، الناشر: دار المعرفة ـ بيروت.

٦٢- طبقات الشافعية الكبرىٰ، للسبكي، المحقق: د. محمود محمد الطناحي د. عبد الفتاح محمد الحلو، الناشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، ١٤١٣هـ.

٦٣- ظلال الجنة في تخريج السنة لابن أبي عاصم، المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي ـ بيروت-الطبعة الثالثة - ١٤١٣-١٩٩٣م.

٦٤- عيوب النفس، للنيسابوري، المحقق: مجدي فتحي

السيد، الناشر: مكتبة الصحابة.

٦٥- فتح الباري، لابن حجر،، حققه جزءًا منه: عبد العزيز بن باز، ورقّم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، طباعة دار السلام –الرياض- ودار الفيحاء-دمشق- ١٤١٨هـ الطبعة الأولىٰ.

٦٦- فتح القدير، لابن الهمام،، الناشر: دار الفكر.

٦٧- فقه السيرة، للغزالي، تعليق: الألباني، الناشر: دار القلم ـ دمشق الطبعة: السابعة – ١٩٩٨م.

٦٨- الفوائد، لابن القيم، الناشر: دار الكتب العلمية ـــ بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٣ – ١٩٧٣م.

٦٩- فيض القدير، للمناوي، الناشر: المكتبة التجارية الكبرىٰ ـ مصر، الطبعة: الأولىٰ، ١٣٥٦.

٧٠- كتاب الفتن لنعيم بن حماد، المحقق: سمير أمين الزهيري، الناشر: مكتبة التوحيد -الطبعة: الأولىٰ، ١٤١٢ه.

٧١- كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، للتهانوي،

تحقيق: د. علي دحروج، الناشر: مكتبة لبنان ناشرون ــ بيروت-الطبعة: الأولىٰ - ١٩٩٦م.

٧٢- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري، الناشر: دار الكتاب العربي ــ بيروت الطبعة: الثالثة - ١٤٠٧ هـ

٧٣- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، للمتقي الهندي، المحقق: بكري حياني - صفوة السقا، الناشر: مؤسسة الرسالة- الطبعة الخامسة، ١٤٠١هـ، ١٩٨١م.

٧٤- مجلة البيان ـ العدد [٢٢٩].

٧٥- مجمع الزوائد للهيثمي، الناشر: دار الفكر، بيروت - ١٤١٢ هـ

٧٦- مختصر الفتاوي المصرية، لابن تيمية، تحقيق: عبد المجيد سليم - محمد حامد الفقي، الناشر: مطبعة السنة المحمدية- تصوير دار الكتب العلمية

٧٧- مدارج السالكين، لابن القيم، تحقيق: محمد حامد الفقي، الناشر: دار الكتاب العربي ــ بيروت الطبعة

الثانية، ١٣٩٣ – ١٩٧٣م.

٧٨- المدخل إلىٰ السنن الكبرىٰ، للبيهقي، المحقق: د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي، الناشر: دار الخلفاء للكتاب الإسلامي - الكويت.

٧٩- المستدرك، للحاكم، تحقيق: مصطفىٰ عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية ــ بيروت، الطبعة: الأولىٰ، ١٤١١ – ١٩٩٠م.

٨٠- مسند أحمد، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١م.

٨١- مسند الشاميين، سليمان الطبراني، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، الناشر: مؤسسة الرسالة ــ بيروت الطبعة: الأولىٰ، ١٤٠٥ – ١٩٨٤م.

٨٢- المصباح المنير، للفيومي، الناشر: المكتبة العلمية - بيروت.

٨٣- مصنف ابن أبي شيبة، المحقق: كمال يوسف الحوت،

الناشر: مكتبة الرشد ــ الرياض، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٠٩ه.

٨٤- مصنف عبد الرزاق، المحقق: حبيب الرحمن الأعظمي، الناشر: المجلس العلمي- الهند.

٨٥- المعجم الأوسط، المحقق: طارق بن عوض الله بن محمد ، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، الناشر: دار الحرمين ـ القاهرة.

٨٦- المعجم الصغير، المحقق: محمد شكور محمود الحاج أمرير، الناشر: المكتب الإسلامي ، دار عمار - بيروت ، عمان، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٠٥ - ١٩٨٥م.

٨٧- المعجم الكبير، للطبراني، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، الطبعة: الثانية، ١٩٨٣م.

٨٨- معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت١٤٢٠هـ.

٨٩- مفتاح دار السعادة، لابن القيم، الناشر: دار الكتب

العلمية ـ بيروت.

٩٠- المفردات في غريب القرآن، للراغب، المحقق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت الطبعة الأولىٰ - ١٤١٢ ه

٩١- مناقب الإمام أحمد، لابن الجوزي،، المحقق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: دار هجر- الطبعة: الثانية، ١٤٠٩هـ.

٩٢- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، لابن الجوزي الناشر: دار صادر ـ بيروت- الطبعة الأولىٰ، ١٣٥٨هـ.

٩٣- منهاج أهل السنة والجماعة في التعامل مع الفتن العامة، عبد الله بن عمر الدميجي، دار الفضيلة.

٩٤- موسوعة فقه الابتلاء، لعلي الشحود، الشاملة.

٩٥- ميزان الاعتدال، للذهبي، تحقيق: علي محمد البجاوي، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت ـ لبنان الطبعة: الأولىٰ، ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٣م.

٩٦- نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، لابن

الجوزي، المحقق: محمد عبد القادر عطا، مصطفىٰ عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت- الطبعة: الأولىٰ، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢م.

٩٧- النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوىٰ - محمود محمد الطناحي، الناشر: المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٩٨- نونية ابن القيم، الناشر: مكتبة ابن تيمية، القاهرة- الطبعة: الثانية، ١٤١٧هـ.

٩٩- الوابل الصيب في الكلم الطيب، لابن القيم، تحقيق: سيد إبراهيم، الناشر: دار الحديث ــ القاهرة، الطبعة: الثالثة، ١٩٩٩م.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
تقديم	٥
تمهيد:	٧
تعريف الثبات لغة واصطلاحا	٧
تعريف المتغيرات	٧
تعريف الشبهات لغة واصطلاحا	١٠
أهمية الموضوع	١٢
وسائل الثبات	٢١
الأولىٰ: الاعتصام بالكتاب والسنة ظاهرا وباطنا	٢٢
لماذا كان القرآن مصدرا للتثبيت؟.	٢٤
الثانية: الفقه في دين الله تعالىٰ	٢٨
الثالثة: تحقيق التوحيد وصفاؤه، وقوة التعلق بالله تعالىٰ..	٣٦
الرابعة: كثرة ذكر الله تعالىٰ	٤١
الخامسة: الاجتهاد في الأعمال الصالحة	٤٥
السادسة: عبادة الخلوات	٥٠
السابعة: نصرة هذا الدين	٥٦

الموضوع	الصفحة
الثامنة: الدعاء واللجأ إلىٰ الله تعالىٰ، وسؤاله التثبيت	٥٩
التاسعة: سلامة المنهج، والثقة به	٦٢
معالم منهج السلف الصالح	٦٢
الجواب عن دعوىٰ تعدد المناهج.....	٧٦
العاشرة: تدبر قصص الأنبياء والمصلحين	٨٦
الحادية عشرة: مجالسة العلماء والصالحين الناصحين...	٩٤
الثانية عشرة: مجانبة أهل الأهواء والضالين والمضلين...	٩٨
الثالثة عشرة: معرفة حقيقة الباطل وعدم الاغترار به.....	١٠٩
الرابعة عشرة: استجماع الأخلاق المعينة علىٰ الثبات	١٢٠
الخامسة عشرة: الالتفات إلىٰ الآخرة وإرادتها وتأمل ما فيها	١٢٨
الخاتمة	١٣٠
فهرس المصادر والمراجع.....	١٣٢
فهرس الموضوعات.....	١٤٩

تم بحمد الله